



القول بإيمان فرعون
دراسة نقدية

د. بدر بن ناصر بن محمد العواد

أكاديمي سعودي، أستاذ مشارك في قسم العقيدة
والمذاهب المعاصرة بجامعة القصيم

ملخّص البحث

لا يختلف المسلمون -بل ولا غيرهم من أهل الكتاب- في أنّ فرعون كان من أكفر أهل الأرض وأكثرهم جحودًا وطغيانًا، وأنه عاش على الكفر ومات عليه، ولكثرة دلائل هذه المسألة ووضوح براهينها عُدّت هذه المسألة من المعلوم من الدِّين بالضّرورة، وكان القول بخلافها من أشنع الأقوال وأشدّها شذوذًا.

ولعلّ القولَ بـ(صحّة إيمان فرعون ونجاته في الآخرة) قد وُجِد في القرن الثّالث الهجريّ، لكنه لم يقوَ إلّا في القرن السّابع على يد رأس الاتّحاديّة ابنِ عربيّ الحاتميّ الذي تبنّاه وأشهره واستدلّ عليه، وقد بناه على النّظريّة التي وقف حياته على التّبشير بها والدّفاع عنها، وهي القول بـ(وحدة الوجود)، التي تخلُص في جوهرها إلى إنكار الصّانع وإبطال الدِّيانات، ويتفرّع عن هذه النّظريّة أقوالٌ أخرى لا تقلّ شناعةً عن القول بإيمان فرعون، غير أنّ مزيّة فرعون -في نظر ابن عربيّ- تكمن في إعلانه أُلوهيّة نفسه، وهو ما يتماهى بصراحة مع تلك النّظريّة المشؤومة، ثمّ تلقّف هذا القولَ عنه خلائقُ من الصُّوفيّة في القديم والحديث، مردِّدين استدلالاته ذاتها على الرّغم من تهافتها؛ إذ نتجت عن التّلاعب بدلالات النُّصُوص تحت غطاء التّأويل الباطنيِّ البعيد، وهو شيء يُجيده ابنُ عربيّ وأضرابه من ذوي الخيال الجامح، ولا ريب في أنّ هذا القول قولٌ كفريّ، وأنّ التّأويل الذي استعمله ابنُ عربيّ تأويل غير سائغ ولا يُعذر صاحبه فيه.

د. بدر بن ناصر بن محمد العواد

dr.b.n.alawad@hotmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدّمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يهدِه الله فلا مضلّ له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبٗا ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد؛ فإنّ من المتّفق عليه بين أهل الملل أنّ فرعون -أحد حكّام مصر القديمة- كان من أعظم الملوك جبروتًا، ومن أشدّ الخلق كفرًا وأشدّهم جحودًا، بل "ليس في الكفّار أعظمُ من كفره"[١]، فقد كفر برسالة موسى وحارب دعوته واضطهد أتباعه، وحين دعاه كليمُ الله إلى الإيمان لجّ في مكابرته وعناده إلى حدّ إنكار وجود الخالق العظيم: ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الشعراء: ٢٣]، مع علمه بكذب نفسه.

ولم يكن هذا الجحود هو نهايةَ المطاف بالنِّسبة إليه، وإنما كان بمثابة البدايات في طريق التّيه الطّويل؛ ذلك أنه لـمّا رأى خِفّة عقول قومه وشدّة طاعتهم

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ٢٨٠).

له تقدّم خُطوة أخرى فادّعى أمام أعيانهم وأشرافهم ألوهيّةَ نفسه بقوله: ﴿مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي﴾ [القَصَص: ٣٨]، وحين لم يجد منهم معارضة – مع ظهور دلائل كذبه وصدقِ موسى– تمادى في جبروته واستطال في طغيانه، فجمع العامّة قسرًا وخطب فيهم بأعلى صوته: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]. فأيّ عُتُوّ أعظم من هذا العُتُوّ؟!

وقد كرّر القرآن الكريم قصّة هذا الطّاغية المتجبِّر في مواضع متفرّقة منه، ليغدو بذلك رمزًا للتّمرّد والطّغيان، وليكون كفرُه من الحقائق اليقينيّة التي لا تقبل المماراة ولا الجدال.

وعلى الرّغم من أنّ القول بـ(إيمان فرعون) من أعظم الأقوال مصادمةً للحقائق القرآنيّة والمسلّمات الدِّينيّة، إلّا أنه منذ أن صوَّرَه ابنُ عربي الطّائي (٦٣٨هـ) في هيئة قولٍ إسلاميّ، ونفخ في هيكله من روح هلوساته = صفق بأجنحته فوق رؤوس طوائف من الصّوفيّة في القديم والحديث، وكثرت السّجالات العلميّة حوله بين النّافين والمثبتين، حتى وصف العلّامة مرتضى الزَّبيدي (١٢٠٥هـ) مسألة (إيمان فرعون) بأنها: "مسألةٌ شديدة الاختلاف والتّصادم"(١).

وغير خفيّ على المتابع أنّ ثَمّة جهاتٍ تسعى -وبتمويلٍ مشبوه من مؤسّسات غربيّة- إلى إحياء تراث هذا الرّجل من جديد، عن طريق الاحتفاء بشخصيّته واستخراج دفائن كتبه المطمورة في زوايا الإهمال، وهو أمر انتبه إليه غيرُ واحد من المعاصرين، كالشّيخ محمد الغزالي (١٤١٦هـ) الذي قال-: "مما يلفت النّظر أنّ معهد الدّراسات الإسلاميّة بجامعة السّوربون قد اتّفق مع إحدى

(١) إتحاف السّادة المتّقين للزَّبيدي (٢/ ٢٤٥).

العواصم العربيّة على طبع «الفُتُوحات» وإخراجها في بضعة وثلاثين جزءًا! لحساب مَن يتمّ هذا العمل في هذه الأيّام العصيبة؟!"(١).

وعودًا على بدء فإنّ القول بـ(إيمان فرعون) لم يمت منذ أن ظهر للعلن في القرن السّابع وحتى يومنا هذا، وإنما ظلّ يقوى ويضعف بحسب قوّة الصُّوفيّة وضعفهم باعتبارهم البيئة الحاضنة له، والحقيقة أنّ عقيدة (وحدة الوجود) ما دامت حيّةً في قلوب جماهيرهم فالقول بـ(إيمان فرعون) حيّ ولا بدّ، غير أنّ أكثرهم لا يجرؤون على الجهر به، لا سيّما بعدما انحسر مدّ التّصوّف في العُقُود الأخيرة ولله الحمد.

ويخطئ من يظنّ أنّ هذا القول لم يعد له وجود اليوم بين القوم بالنّظر إلى سكوتهم عنه، فمن المعلوم أنّ السّكوت لا يعني الرّفض، ولا يلزم منه الإنكارُ بالضّرورة، ومن تتبّع تقريراتهم وجده يلوح في كثير منها، لكن دون تصريح، وإنما عن طريق الرّمز والإشارة والتّلويح، وهو أمر شائع في أدبيّاتهم في كلّ ما يخالف ما عليه العامّة من المعتقدات؛ خوفًا من تشنيع الفقهاء الذين يُطلقون عليهم -على سبيل التّنقُّص والاستخفاف-: (علماء الرُّسُوم) و(علماء الشّريعة) و(أهل

---

(١) تراثنا الفكري في ميزان الشّرع والعقل للغزالي (٦١).

وقل مثل ذلك في كتاب: «مؤلّفات ابن عربي: تاريخها وتصنيفها» لعثمان يحيى، حيث شكر المؤلّف في مقدّمته (ص٢٥) ثلاثةً من كبار المستشرقين؛ هم: ماسينيون وكوربان ولاووست، مشيرًا إلى أنه -ومن أجل إتمام العمل- قام برحلتين علميّتين، إحداهما على نفقة المركز القوميّ الفرنسيّ للبحوث العلميّة، والثّانية كانت بإشراف هيئة اليونيسكو وبمساعدة من الأستاذين: ماسينيون وكوربان.

وكذلك كتاب: «الوجود الحقّ والخطاب الصّدق» لعبد الغني النّابلسي الذي يقرّر فيه عقيدةَ وحدة الوجود، طبعه المعهد العلميّ الفرنسيّ للدراسات العربيّة.

الظّاهر) و(أهل القِشر) و(أهل الحِجَاب)![1].

ولقد أشار ابنُ عربي إلى هذا المسلك الكِتمانيِّ في سياقٍ مُشابهٍ فقال: "وهذا الفنّ من الكشف والعلمِ يجب سَترُه عن أكثر الخلق؛ لِمَا فيه من العُلوّ، فغَورُه بعيد والتّلفُ فيه قريب"[2].

وفيه يقول بعضُهم:

إني لأكتمُ من علمي جواهرَه	كي لا يرى الحقَّ ذو جهلٍ فيَفتَتِنا
وقد تقدَّمَ في هذا أبو حسنٍ	إلى الحسين ووصّى قبلَه الحسَنا
فرُبَّ جوهرِ علمٍ لو أبوح به	لقيل لي: أنت ممن يَعبُد الوَثَنا
ولاستحلّ رجالٌ مسلمون دمي	يرون أقبحَ ما يأتونَهُ حَسَنا[3]

ويزداد الوضع خطورةً حين نجد من يتبنّى القول بإيمان فرعون ويروّج له على الشّبكة العالميّة للمعلومات، ويحشد ما استطاع من الشّبهات في تأييده والانتصار له، ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ، بل وصل إلى تبنِّيه في بعض صُحُفنا المحلِّية، حيث نشرت جريدة عكاظ في يوم الثّلاثاء الموافق ١٥/ ١/ ١٤٣٢هـ العدد (٣٤٧٤) مقالًا للكاتب نجيب عصام يماني عنوانُه: "هل فرعونُ مات كافرًا؟!"

(١) أمّا هم فيسمّون أنفسَهم بـ(علماء الحقيقة) و(أهل الباطن) و(أهل الكشف) و(أهل المشاهدة) وغير ذلك.
انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ٣٧٩)، مدارج السّالكين لابن القيّم (٣/ ١٧٣)، إغاثة اللّهفان له أيضًا (١/ ١١٩)، روح المعاني للآلوسي (١٥/ ٣٣٠)، الآثار المرفوعة للّكنوي (١٢١).

(٢) كتاب الفناء في المشاهدة لابن عربيّ [سورة مطبوع ضمن رسائله] (١٧).

(٣) تاريخ بغداد (١٢/ ٤٨٩)، منهاج العابدين للغزالي (٤٩)، روح المعاني للآلوسي (١٥/ ٣٠٨).

وممّا جاء فيه: "وفرعونُ إنما مات بعد النُّطق بالشّهادة، فهو على الأصل لم يمت كافرًا، والأصل في حقِّه أيضًا أنه ليس عليه ذنوب؛ لأنه إنما نطق بالشّهادة فوافته المنيّة على الفور، ولم يكن لديه ثمّة حياة بعد الشّهادة تكون مجالًا لارتكاب المعاصي، وما كان قبل إيمانه من السّيئات والمعاصي فحسابُه على الله، بل قد قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «الإسلامُ يَجُبّ ما قبله»[1]، بمعنى: أنه ما كان للمرء من سيّئات قبل إسلامه فحكمُه العفو".

۞ أسباب اختيار الموضوع:

يرجع اختياري هذا الموضوعَ إلى عِدّة أسباب، من أهمِّها:

١- أنّ الأرضيّة التي قام عليها القولُ بإيمان فرعون هي نظريّة وحدة الوجود، ومن المعلوم أنّ لهذه النّظريّة قبولًا واسعًا في الأوساط الصُّوفيّة، ممّا يعني أنّ المتصوّفة لا بدّ أنهم يعتقدون القولَ بإيمان فرعونَ، سواءٌ صرّح الواحد منهم بذلك أم أضمره.

٢- أنّ لابن عربي الأندلسيّ مكانةً كبيرة عند الصُّوفيّة، فهو عندهم سُلطان العارفين ومحيي الدِّين والشّيخ الأكبر والكبريت الأحمر، إلى غير ذلك من الأوصاف، ومن ثَمّ فإنّ تبنّيه للقول بإيمان فرعونَ وحماسَه له واستدلالَه عليه ونصْرَه إيّاه مظنّةٌ لانخداع طوائف من الصُّوفيّة ومن تأثّر بهم بهذا القول.

٣- أنّا شهدنا في الآونة الأخيرة حراكًا قويًّا على مختلف الأصعدة

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٧٨١٢)، والبيهقيّ في سُنَنه الكبرى برقم (١٨٠٦٩) وغيرهما من حديث عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. والحديث أصلُه في صحيح مسلم برقم (١٢١)، ولفظُهُ: "الإسلام يهدم ما قبله".

والمستويات تقودُه دولٌ غربيّة ولأهداف سياسيّة، يهدف إلى إعادة إحياء التّصوُّف في المجتمعات الإسلاميّة، ودمج مبادئه السُّكُونيّة في الوجدان المجتمعي باعتباره النّموذج الأمثل للإسلام المعتدل، المتماهي مع قِيَم العصر، والقادر على التّعايش مع الآخرين، ممّا يعني بالضّرورة أنّ كثيرًا من الأقوال الصُّوفيّة الشّاذّة والممارسات المنحرفة ستظهر من جديد.

❁ هدف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضّوء على القول بإيمان فرعون، وتتبُّع نشأته، والكشف عن أصله الفلسفيّ الذي تولّد عنه، ومناقشة ما تمسّك به أصحابُه من دلائل تأوّلوها على غير وجهها، وتعسّفوا في تحميلها ما لا تحتمل.

❁ خطّة البحث:

وتشتمل على مقدّمة وأربعة مباحث وخاتمة:

المقدّمة، وفيها بيان أسباب اختياره، وهدفه، وخطته، ومنهجه، وإجراءاته.

المبحث الأوّل: نشأة القول بإيمان فرعون والباعث عليه، والمصنّفات في هذه المسألة.

المبحث الثّاني: أشهر القائلين بإيمان فرعون بين الإثبات والنّفي.

المبحث الثّالث: أدلّة القائلين بإيمان فرعون والرّدّ عليهم.

المبحث الرّابع: حكم القول بإيمان فرعون.

خاتمة، وتتضمّن أهم النّتائج.

❁ منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي النّقدي.

❁ إجراءات البحث:

١. عزو الآيات إلى مواضعها من المصحف الشّريف بذكر اسم السّورة ورقم الآية.

٢. توثيق الأحاديث من مصادرها الأصليّة، فإن كان الحديث في الصّحيحين أو أحدهما اكتفيتُ بمجرّد العزو، وإن كان في غيرهما خرّجتُه وذكرتُ حكم أهل الشّأن عليه إن وُجِد.

٣. توثيق النّقول من مصادرها الأصيلة.

٤. ترك التّعريف بالأعلام والأماكن ونحوها؛ لأنّ الأصل أنّ أمثال هذه البحوث موجّه لأساتذة على مستوى عالٍ من الإحاطة بالتّخصّص.

٥. ذكر سنة الوفاة عند مرور الأعلام للمرّة الأولى ما لم يكن الواحد منهم حيًّا أو ذُكِر عرضًا في سند أو خبر أو قصّة.

وفي الختام فإني أتقدّم بالشّكر الجزيل لجامعة القصيم ممثَّلةً بعمادة البحث العلميِّ على دعمها لهذا البحث.



المبحث الأوّل

نشأة القول بإيمان فرعون والباعث عليه، والمصنّفات في هذه المسألة

القول بإيمان فرعون ونجاتِه من أعجب الأقوال التي تمرّ على النّاظر، ومن أكثرها شذوذًا وغرابةً؛ ذلك أنّ دلائل بُطلانه ومناقضته لما قرّرتْه نصوصُ الوحي في غاية الجلاء، بل "هذا عند الخاصّة والعامّة أبينُ من أن يُستدلّ عليه بدليل؛ فإنه لم يكفر أحد بالله ويدّعي لنفسه الرُّبوبيّة والإلهيّة مثل فرعون"(١)، ولهذا كان "أكفرَ الكفرة وأعظمَ العُتاة المتمرِّدين عليه"(٢)، وكان فسادُه معلومًا بالاضطرار من دين الإسلام.

ثمّ إنّ الواقع يشهد بأنه "لم يظهر عن أحد بالتّصريح بأنه مات مؤمنًا إلّا عمّن فيه من النِّفاق والزّندقة أو التّقليد للزّنادقة والمنافقين ما هو أعظمُ من ذلك"(٣).

ويحسن ابتداءً استعراض الموضوع على النّحو التالي:

۞ أوّلاً: نشأةُ القول بإيمان فرعون والباعثُ عليه.

لعلّ أقدم من أشار إلى وجود هذا القول هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبيّ (٢٤٣هـ) حيث قال: "وقد تأوّل قوم أنّ الله جلّ ذِكرُه عنى أن ينجِّيه

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ٢٧٩).

(٢) السّيل الجرّار للشّوكاني (٤/ ٥٨٨).

(٣) جامع الرّسائل لابن تيميّة (٢٠٤).

ببدنه من النّار إذا آمَنَ عند الغرق، وقالوا: إنما ذكر أنّ قومَ فرعون يدخلون النّار ولم يذكر أنه يُدخِل فرعون النّار وإنما قال: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود: ٩٨] ولم يقل فيَرِدُها"[١].

وقد يُستَشَفّ من تفرُّد المحاسبيّ بهذا النّقل دون غيره ممن وصلتنا كتبُهم من الإسلاميِّين -على اختلاف طوائفهم- تحديدُ القائلين بذلك، وأنهم قوم من الصُّوفيّة الذين كانوا يجالسونه.

غير أنّ هذا القول الذي حكاه المحاسبيُّ ظلّ خاملًا لا يُعرَف -وإن تبنّاه بعض الصُّوفيّة كالحلّاج (٣٠٩هـ)[٢]- منذ ذلك الحين حتى أطلّ القرن السّابع، فنُفُخِتْ فيه الرُّوح من جديد على يد رأس الاتّحاديّة وإمام الحلوليّة ابنِ عربي الحاتمي، الذي تبنّاه وأشهرَه واستدلّ عليه، حتى إنّ شيخ الإسلام ابن تيميّة (٧٢٨هـ) - على الرّغم من خبرته بأقاويل النّاس وسعة اطّلاعه على مقالاتهم- قال: "لـم يَسبِق ابنَ عربيٍّ إليه -فيما أعلم- أحدٌ من أهل القِبلة، بل ولا من اليهود ولا من النّصارى"[٣].

والسّؤال الملحّ الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو: ما كان الباعث له على تبنّي هذا القول الصّادم؟! وعلى أيّ أساس اعتمد في إبرازه والانتصار له؟!

والحقيقة أنّ القول بـ(صحّة إيمان فرعون ثمّ نجاته في الآخرة) لم يَنتُج عن نظر اجتهاديٍّ خالص في نصوص المسألة، وإنما بناه ابنُ عربيّ وفرَّعَه عن أصل

---

(١) فهم القرآن للمحاسبي (٣٣٦).

(٢) انظر: الطّواسين للحلّاج (١٩٢) [سورة مطبوع ضمن الأعمال الكاملة له].

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ٢٧٩).

فلسفيّ أكبر هو القول بـ(وحدة الوجود)، وهذا هو رأس أمر القوم وأصل أصولهم[١].

والمقصود بـ(وحدة الوجود) أنه ليس في العالَـم وجودان حقيقيّان وإنما هو وجودٌ واحد، وأنّ ثمّة اندماجًا تامًّا بين الموجودات، وإن تباينت أسماؤها في الظّاهر فسُمِّي بعضها إلهًا وبعضُها عبدًا، فوجودُ هذا هو عينُ وجود ذاك ولا فرق، فالخالق هو المخلوق، والرَّبّ هو العبد، والمتكلّم هو السّامع، والمعطي هو الآخذ وهكذا، وعلى هذا المعنى يَحمِل الاتّحاديّةُ قولَه تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، ويزعمون أنّ معنى قوله ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] أنه "سبق قضاؤه أن لا يُعبَد سواه، وكلُّ عابدٍ إنما يَعبد الله سبحانه من حيث يدري ومن حيث لا يدري"[٢]، إلى غير ذلك.

ويقولون أيضًا: إنه ليس للكائنات المتنوّعة وجود حقيقيّ قائم بذواتها، وإنما تشكّل عرضيّ قابعٌ في الأوهام، وأنّ ما يشهد به الحسُّ من التّبايُن إنما هو باعتبار اختلاف التّجلِّيات التّكوينيّة الصُّوريّة[٣]، وأنّ "العبدُ إنما يشهد هذه المعاني إذا كان محجوبًا عن شُهُود الوحدة المطلقة في خياله، فإذا انكشف حجابُ قلبه رأى

---

(١) هذا بالنِّسبة إلى من يقول بـ(وحدة الوجود) على طريقة ملاحدة الصّوفيّة، أمّا من لا يقول بها فقد يكون بناه على القول بأنّ الإيمان هو المعرفة القلبيّة، أو قاله تقليدًا لابن عربيّ ومتابعةً له في كلامه على أدلّة المسألة، والعلمُ عند الله تعالى.

(٢) روح المعاني للآلوسي (١٥/ ١٢٤).

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ١٢٤ و١٤٠ و٢٣١ و٣٦٤) و(١٠/ ٥٩) و(٣٥/ ٤٤)، مدارج السّالكين لابن القيّم (٣/ ١٣٩)، و(٣/ ٣٧٨)، روح المعاني للآلوسي (٢٧/ ١٦٧)، الفكر الصُّوفي في ضوء الكتاب والسُّنّة لعبد الرحمن عبد الخالق (٦٩).

ما ثَمَّ اثنين بوجهٍ من الوجوه"[١].

قال أبو العلا عفيفي (١٣٨٦هـ): "لـم يكن لمذهب وحدة الوجود وجودٌ في الإسلام في صورته الكاملة قبل ابن عربيّ، فهو الواضع الحقيقيّ لدعائمه والمؤسّس لمدرسته، والمفصِّل لمعانيه ومراميه، والمصوِّر له بتلك الصّورة النّهائيّة التي أخذ بها كلّ من تكلّم في هذا المذهب من المسلمين من بعده"[٢].

وهذه النّظريّة التي آمن بها ابنُ عربي ونذر حياته للتّنظير لها والدّفاع عنها -مستغِلًّا ثقافتَه الواسعة وخيالَه الجامح وبيانَه الأخّاذ- هي الخيط الدّقيق الذي ينتظم جميع أفكاره ومعتقداته، وهي أيضًا المفتاح الذي لا يمكن فهمُ آرائه وآراء أتباعه -على الوجه الصّحيح- إلّا بواسطته، ومن ذلك تعظيمُ فرعون والقولُ بإيمانه بل وجعْلُه أفضلَ الموحِّدين بدعوى أنه صدق في قوله ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤][٣].

وتنتهي هذه النّظريّة -بعيدًا عن تهويمات الصُّوفيّة وعباراتهم المزخرفة- إلى إنكار الصّانع وإلى تكذيب الرّسالات وإبطال الشّرائع[٤]، ولهذا كان العزّ بن عبد السّلام (٦٦٠هـ) يقول في ابن عربيّ: "شيخُ سوءٍ كذّاب مقبوح، يقول بقدَم العالَـم ولا يُحرِّم فَرْجًا"[٥].

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ٤٥٠) بتصرُّف يسير.

(٢) انظر: مقدّمة د. أبو العلا عفيفي على كتاب فُصُوص الحِكَم (٢٥).

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (١٣/ ١٨٩)، الفكر الصُّوفي في ضوء الكتاب والسُّنّة لعبد الرحمن عبد الخالق (٣٩).

(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (١١/ ٢٣٦).

(٥) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ١٣١)، تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي =

وبموجب الاطِّراد في إعمال هذا الأصل الفلسفيّ الكلِّيِّ لم يقتصر ابنُ عربيّ على القول فقط بإيمان فرعون ونجاته، بل "عمَدَ إلى جميع كفّار الأرض فجعَلَهم مؤمنين موحِّدين عارفين واصلين!"[١]، وإلى تصحيح عبادة العِجل والجنّ والملائكة والنّجوم والأوثان وغير ذلك[٢]؛ إذ "الطُّرُق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق!"[٣].

وقد نبّه شيخُ الإسلام ابن تيميّة في نصّ مهمّ له إلى أنّ أصحاب هذه النّظريّة يصحِّحون دعاوى الألوهيّة من أيٍّ صدرت، وعلى رأس هؤلاء فرعون، ولكنهم "إذا نافقوا المؤمنين وأظهروا الإيمان قالوا: إنه مات مؤمنًا وإنه لا يدخل النّار، وقالوا: ليس في القرآن ما يدلّ على دخوله النّار"[٤].

ثمّ إنّ سِرَّ اهتمام ابن عربيّ بفرعونَ وتنويهه بشأنه يكمن في ادّعائه الإلهيّة، وهو الشّيء الذي انفرد به فرعونُ عن غيره من الكفّار ورأى فيه ابنُ عربيّ تماهيًا مع ما يقرِّره من كون الخالق هو عين المخلوق[٥].

وقد تعجّب الآلوسي الكبير (١٢٧٠هـ) من كثرة الاعتراض على قول ابن عربيٍّ بإيمان فرعون مع أنّ له نظائر في قوله هذا أو أشدّ فقال: "وقد اعترض عليه

=

للبِقاعي (١٥٢).

(١) الفكر الصُّوفي في ضوء الكتاب والسُّنّة لعبد الرّحمن عبد الخالق (٧٣).

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ١٢٤و٢٥٠).

(٣) نظم الدُّرَر في تناسب الآيات والسُّوَر للبِقاعي (١٦/ ٣٧).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ٢٦٨).

(٥) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ٢٦٨).

بذلك غيرُ واحد، وهو عندي ليس بأعظمَ من قوله - قُدِّسَ سرُّه[١]- بإيمان قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وكثيرٍ من أضرابهم ونجاتِهم يوم القيامة، وقد نصّ على ذلك في «الفُصُوص».

والعجب أنه لم يكثر معترضوه في ذلك كثرتَهم في القول بإيمان فرعون!"[٢].

وقال أيضًا: "والعجب أنّ التّشنيع على الشّيخ الأكبر في هذه المسألة شائعٌ بين كلّ غادٍ ورائح، مع أنه اضطرب فيما هو أعظم منها مِن نجاة الـمُهلَكين غير قومي لوط وصالح، والآياتُ الدّالة على عدم نجاة أولئك المهلكين أظهرُ في المراد من الآيات الدّالة على كفر ذلك اللّعين"[٣].

قال العلّامة ابن قيّم الجوزيّة (٧٥١هـ): "وأمّا الاتّحادية فالتّوحيد عندهم أنّ الحقّ المنزَّه هو عين الخَلْق المشبَّه، وأنه سبحانه هو عين وجود كلّ موجود وحقيقتُه وماهيّتُه، وأنه آية كلِّ شيء، وله فيه آيةٌ تدلّ على أنه عينُه، وهذا عند محقِّقيهم من خطأ التّعبير، بل هو نفس الآية ونفس الدّليل ونفس المستدِلّ ونفس المستدَلّ عليه، فالتّعدُّد بوجود اعتباراتٍ وهميّة لا بالحقيقة والوجود، فهو عندهم عينُ النّاكح وعين المنكوح، وعينُ الذّابح وعين المذبوح، وعينُ الآكل وعين المأكول، وهذا عندهم هو السِّرّ الذي رمزت إليه هوامسُ الدّهور الأوليّة، ورامت إفادتَه الهدايةُ النّبويّة، كما قالَه محقّقُهم وعارفُهم ابنُ سَبعين.

---

(١) هذه العبارة من الأدعية التي درج على الصُّوفيّة على استعمالها، وقد تسرّبت إلى قلم العلّامة أبي الثّناء في أكثر من موضع من تفسيره جرّاء تأثُّره بالمناخ الصُّوفي الذي كان سائدًا في زمانه، حتى أنه انتسب إلى الطّريقة النّقشبنديّة.

(٢) روح المعاني للآلوسي (١١/ ١٨٦).

(٣) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للآلوسي (٩٣).

ومن فروع هذا التّوحيد أنّ فرعون وقومَه مؤمنون كاملو الإيمان، عارفون بالله على الحقيقة.

ومن فروعه أنّ عُبّاد الأصنام على الحقّ والصّواب، وأنهم إنما عبدوا عينَ الله سبحانه لا غيره.

ومن فروعه أنّ الحق أن لا فرق في التّحريم والتّحليل بين الأُمّ والأُخت والأجنبيّة، ولا فرق بين الماء والخمر، والزِّنا والنِّكاح، الكلُّ من عين واحدة، بل هو العين الواحدة"[١] إلخ.

وعلى كلٍّ فإنّ فروع هذه النّظريّة أكثر من أن تُحصى، ومنتهاها هدم النبوّات وإبطال الشّرائع.

وغنيٌّ عن البيان أنّ هذه النّظريّة مستمدّة من ثقافاتٍ أخرى، فهي أجنبيّة عن دين الإسلام[٢]، وأنّ مجرّد عرضها كافٍ في بيان بُطلانها وتهافتها؛ إذ هي "لا عقل ولا قرآن"[٣]، بل هي هرطقة خالصة تصحّح الجمعَ بين النّقيضين وتجوّز وقوع المحالات[٤]، ولا يمكن أن يؤمن بها سَويّ إلّا أن يركب مطيّة مكابرة المحسوسات، وقد اعترف القوم بأنّ علم وحدة الوجود "طور ما وراء طور العقل، وأنه مما تعلمه الرُّوحُ بدون واسطة العقل!"[٥].

---

(١) مدارج السّالكين لابن القيّم (٣/ ٤٤٧).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنّقل لابن تيميّة (٢/ ٣٠٥)، تفسير المنار لرشيد رضا (٢/ ١٩٢)، مقدّمة أبي العلا عفيفي على الفصوص (٧)، عقيدة الصُّوفيّة وحدة الوجود الخفيّة (٦٧).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ٢٢٠).

(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ٣١٢).

(٥) روح المعاني للآلوسي (٦/ ١٩٠) بتصرُّف يسير.

والرّجل بعد أن بنى قولَه في فرعون على تلك النّظريّة المشؤومة رجع إلى الوحي محاولًا أن يجد في نصوصه ما يؤيّد كلامه، ولو بإعمال معول التّأويل الباطنيِّ في دلالاتها على ما سيأتي بيانُه بإذن الله.

ومن بوّابة ابن عربي كانت الانطلاقةُ الأولى أمام خلائق من الصّوفيّة الذين سلكوا طريقه واعتنقوا آراءه بتسليم مطلق، بعدما صار له في نفوسهم من التّعظيم والجلالة واعتقاد الولاية ما هو فوق الوصف، وتأمّل هذا النصَّ العزيز من شيخ الإسلام ابن تيميّة لتدرك مدى ما كان للرّجل من المكانة والتّأثير، حيث يقول: "كنتُ قديمًا ممن يحسن الظّنَّ بابن عربيّ ويُعظِّمه لِمَا رأيتُ في كتبه من الفوائد، مثل كلامه في كثير من «الفُتُوحات» و«الكُنْه» و«المحكم المربوط» و«الدُّرّة الفاخرة» و«مطالع النُّجُوم» ونحو ذلك، ولم نكن بعدُ اطّلعنا على حقيقة مقصوده، ولم نُطالع «الفُصُوص» ونحوَه، وكنّا نجتمع مع إخواننا في الله نطلب الحقَّ ونتبعه ونكشف حقيقة الطّريق، فلمّا تبيّن الأمرُ عرفنا نحن ما يجب علينا"[١].

يضاف إلى ذلك ما كان يُضفيه على نفسه وعلى كلامه وكتاباته من هالات القداسة كقوله:

الله يعلــمُ والــدّلائلُ تشــهدُ — أني إمــامُ العــالمينَ محمــدُ[٢]

وقوله:

خُصِصتُ بعلمٍ لم يخصَّ بمثله — سوايَ من الرّحمن ذي العرشِ والكرسي

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ٤٦٤).

(٢) ديوان محيي الدِّين ابن عربي (٢٠٩).

وأُشهدتُ من علمِ الغيوبِ عجائبًا تصانُ عن التّذكارِ في عالَـم الحسِّ

فيا عجبًا أني أروحُ وأغتدي غريبًا وحيدًا في الوُجُود بلا جنسِ[١]

ومما قاله في كتابه «الفُتُوحات المكِّيّة»: "جميع ما نتكلّم فيه في مجالسي وتصانيفي إنما هو من حضرة القرآن وخزائنه، أُعطيتُ مفاتيح الفهم فيه والإمداد منه، وهذا كلُّه حتى لا نخرج عنه؛ فإنه أرفع ما يُمنح، ولا يَعرِف قدرَه إلّا من ذاقه وشهد منزلته حالًا من نفسه وكلَّمَه به الحقُّ في سِرِّه؛ فإنّ الحقَّ إذا كان هو المكلِّم عبدَه في سِرِّه بارتفاع الوسائط فإنّ الفهم يستصحب كلامَه منك، فيكون عينُ الكلام منه عينَ الفهم منك لا يتأخّر عنه"[٢].

وقال أيضًا: " اعلم أنّ جميع ما أكتبه في تآليفي ليس هو عن رويّةٍ وفكر، وإنما هو عن نفثٍ في رُوعي من مَلَك الإلهام"[٣].

وقال أيضًا: "والله ما كتبتُ منه [يعني: كتابَه «الفُتُوحات»] حرفًا إلّا عن إملاءٍ إلهيّ وإلقاءٍ ربّانيّ، أو نفثٍ روحانيّ في رُوع كياني"[٤].

ولا تقتصر دعوى الإلهام على معارف الكتاب -بزعمه- بل حتى ترتيبه كما قال: "إنّا ما قصدنا هذا التّرتيب عن اختيار... فالله تعالى رتّب على يدنا هذا التّرتيب فتركناه ولم ندخل فيه برأينا ولا بعقولنا"[٥].

---

(١) ديوان محيي الدِّين ابن عربي (٥٥٠).

(٢) الفُتُوحات المكِّيّة لابن عربي (٣/ ٣٣٤).

(٣) نقله عن الفُتُوحات عبدُ الوهّاب بن أحمد الشّعراني في الكبريت الأحمر في بيان علوم الشّيخ الأكبر (٢٠) الذي اختصر فيه الفتوحات، ولم أتمكّن من العثور عليه في الأصل.

(٤) الفُتُوحات المكِّيّة لابن عربي (٣/ ٤٥٦).

(٥) المصدر السّابق (٢/ ١٦٣).

وما دامت علومُه -كما يزعم- فتوحًا ربّانيّة، وحصائلُ معارفه استمداداتٍ إلهاميّة، فكيف يمكن للصّوفي السّاذج الذي أُشرِب قلبُه تصديق هذه الدّعاوى أن تسوّل له نفسه ردّ كلام الشّيخ الأكبر أو معارضة تقريراته؟!

۞ ثانيًا: المصنّفات في هذه المسألة.

حظيت هذه المسألة باهتمام كبير ما بين مؤيّد ومعارض، والذي تحصّل لي من البحث في الكتب والتّفتيش في الفهارس مما أُفرد فيها ما يلي:

١- «رسالة في الرّدّ على ابن عربي في دعوى إيمان فرعون»: تأليف: شيخ الإسلام ابن تيميّة، المتوفّى سنة ٧٢٨هـ، وقد طبعت ضمن جامع الرسائل له.

٢- «رسالة في إيمان فرعون»، تأليف: جلال الدِّين محمد بن أسعد الصّدِّيقي الدّواني، المتوفّى سنة ٩٠٨هـ، وهي رسالة صغيرة مطبوعة انتصر فيها لقول ابن عربي الحاتمي.

٣- «رسالة في ردّ إيمان فرعون»، تأليف: أحمد بن سليمان بن كمال باشا، المتوفّى سنة ٩٤٠هـ.

٤- «القول الـمُصان عن البُهتان في غَرَقِ فرعونَ وما كان عليه من الطُّغيان»، تأليف: عبد الرّحمن بن يوسف الأُجْهوري المالكي، المتوفّى سنة ٩٦١هـ.

٥- «تنزيه الكون عن اعتقاد إسلام فرعون»، تأليف: زين العابدين محمد بن محمد العمري سبط الـمَرْصَفِي، المتوفّى سنة ٩٦٦هـ[1].

---

(١) انظر: كشف الظُّنون لحاجي خليفة (١/ ٤٩٥).

٦- «التّأييد والعون للقائلين بإيمان فرعون»، تأليف: محمد بن عبد الرّسول بن عبدالسّيِّد الحسني البَرَزَنْجي، المتوفّى سنة ١١٠٣هـ[١].

٧- «رسالة في كيفيّة إيمان فرعون»، تأليف: محمد نور الدِّين الحسينيّ، المتوفّى سنة ١٣٠٥هـ، وقد انتصر فيها لقول ابن عربي وهي غير مطبوعة[٢].

٨- رسالة للمُلا محمد يعقوب البنباني المتوفّى سنة ١٠٩٨ه، ذكرها محمد أنور شاه بن معظّم شاه الكشميري (١٣٥٣هـ)، وأشار إلى أنه لم يأت فيها بشيء يشفي الصُّدُور![٣].

٩- رسالة للمُلاّ محمود الفاروقي الجونفوري، المتوفّى سنة ١٠٦٢هـ، ذكرها محمد أنور شاه بن معظّم شاه الكشميري، وأشار كذلك إلى أنه لم يأتِ فيها بشيء يشفي الصُّدُور![٤].

١٠- «توفيق العيون في حقّ إيمان فرعون»، تأليف: عبد الله بن عبد العزيز الباليكسري الرُّومي الخَلْوتي، المتوفّى سنة ١١٩٧هـ، وقد انتصر فيها لقول ابن عربي[٥].

١١- «فرّ العون ممن يدّعي إيمان فرعون»، تأليف: نور الدِّين علي بن سلطان محمد القاري الهرويّ الحنفيّ، المتوفّى سنة ١٠١٤هـ، وقد ردّ في هذه

(١) انظر: إيضاح المكنون لإسماعيل باشا (٣/ ٢٢٠)، فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظّاهريّة لصلاح الخيمي (٢/ ٣٤).
(٢) انظر: هدية العارفين لإسماعيل باشا (٢/ ٣٨٦).
(٣) انظر: فيض الباري للكشميري (٥/ ٢٤٨).
(٤) انظر: فيض الباري للكشميري (٥/ ٢٤٨).
(٥) انظر: هدية العارفين لإسماعيل باشا (١/ ٧٥٣).

الرّسالة على رسالة الجلال الدّواني، وهي مطبوعة.

١٢- «رسالة في مبحث إيمان فرعون»، تأليف: محمد أفضل بن عبد الرّحمن العبّاسي السيدبوري، المتوفّى سنة ١١٢٤هـ[١].

١٣- «رسالة في إيمان فرعون»، تأليف: عبد النّبي بن عبد الله الأكبر آبادي[٢].

١٤- «الجانب الشّرقي في كفر فرعون الغرقي»، تأليف: قطب الهدى بن محمد الحسيني النَّقْشَبَنْدي، المتوفّى سنة ١٢٢٦هـ[٣].

١٥- رسالة في إيمان فرعون، تأليف: شمس الدِّين نصوحي زاده الأسكداري الرّومي، المتوفّى سنة ١٢٤٩هـ[٤].

١٦- «نتيجة التّوفيق والعون في الرّدّ على القائلين بصحّة إيمان فرعون»، تأليف: بدران بن أحمد الخليليّ، المتوفّى بعد ١١٠٣هـ، وهي رسالة صغيرة طُبعت ضمن كتاب «رسائل وفتاوى في ذمّ ابن عربيّ الصُّوفي».

١٧- «العون لمن نفى إيمان فرعون»، تأليف: إدريس بن عبد العلي الحنفي النّكرامي، المتوفّى سنة ١٣٣٠هـ[٥].

١٨- «استمداد العَون لإثبات كفر فرعَون»، تأليف: عبد الله بن الصِّدِّيق

---

(١) انظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنّواظر للطّالبي (٦/ ٨٠٥).
(٢) انظر: المصدر السّابق (٥/ ٥٨١).
(٣) انظر: المصدر السّابق (٧/ ١٠٧٠).
(٤) انظر: هدية العارفين لإسماعيل باشا (١/ ٥٥٧).
(٥) انظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنّواظر للطّالبي (٨/ ١١٨٤).

الغُمَاري، المتوفّى سنة ١٤١٣هـ، وهي رسالة صغيرة تقع في سبع صفحات، طُبِعت في آخر كتاب «الجواب المفيد للسّائل المستفيد» (١٢٢) تحت عنوان: ملاحق وضمائم.

المبحث الثّاني

أشهر القائلين بإيمان فرعون بين الإثبات والنّفي

هذا القول -وإن انتشر بين المتصوِّفة منذ كان حتى الآن- ليس محلّ اتّفاق بينهم، بل فيهم من لا يتردّد في ردِّه وإبطاله، ويُخطِّئُ من يجعله قولًا لهم بعامّة[١]، وقد كان شيخ الإسلام ابن تيميّة دقيقًا حين نسبَه إلى طائفة من الاتّحاديّة[٢].

وسوف نذكر هنا أبرز القائلين به ممن اشتَهر عنه ذلك أو نُسِب إليه ولم يثبت عنه، أمّا من ذكره عرضًا ككثير من شُرّاح «الفُصُوص»[٣] ونحوهم فلن نورده في جملة من نذكر.

ومن أشهر القائلين به من يلي:

(١) انظر: الفكر الصُّوفي في ضوء الكتاب والسُّنّة لعبد الرحمن عبد الخالق (٣٩).

(٢) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ٢٧٩)، والردّ على المنطقيين له أيضًا (٥٢٢).

(٣) ومن هؤلاء: داود بن محمود القيصري في شرحه المسمّى مطلع خصوص الكلم في معاني فُصُوص الحِكَم (٢٨٨)، وملّا عبد الرّحمن بن أحمد الجامي في شرحه المسمّى جواهر النُّصُوص في حلّ كلمات الفُصُوص (٢٩٩)، ومحمود محمد غراب في شرحه للفُصُوص (٣٩٢). وكذلك الجندي والكازروني وعلي المهايمي وعبد الله الرومي، ومحمد حسين بن تفضل الإله آبادي. انظر: إتحاف السّادة المتقين للزَّبيدي (٢/ ٢٤٦)، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر للطّالبي (٨/ ١٣٥٨).

١. ابن عربي الحاتمي:

من الطبعي أن تكون البداءة بابن عربيّ باعتباره أوّل من شهر القولَ بـ(إيمان فرعون) استهلالًا واستدلالًا، غير أنّ النّاس قد تنازعوا في ثبوت ذلك عنه للأسباب التّالية:

أ- أنّ الرّجل كان يُكثر في التّعبير عن آرائه من الإغراق في الرّمزيّة، ويحرص على ستر وجه أفكاره بأقنعة الغموض والهُلاميّة، و"غُمُوضُ أسلوبه واستغلاقُ معانيه قد صارا مضربَ مثل... وترجع إلى الأساليب التي يعبِّر بها عن هذا المذهب، والطُّرق الملتوية التي يختارها لبسطه"[(١)]، وهذا ما دفع الكمالَ ابنَ الزَّمَلْكَاني (٧٢٧هـ) -وغيرُه كثير- أن يقول: "وأنكر عليه قوم لأجل كلماتٍ وألفاظٍ وقعت في كتبه قد قَصُرت أفهامُهم عن إدراك معانيها"[(٢)].

وهذا بطبيعة الحال وإن كان لا يسلّم للكمال، إلّا أنّ المقصود الإشارة إلى أنّ كثيرًا من كلامه مشكل للغاية.

ب- أنّ له تقريراتٍ أخرى يُفهم منها قولُه بـ(هلاك فرعون وكونه من أهل النّار)، وهو ما يتعارض مع القول بـ(إيمانه ونجاته الأخرويّة).

جـ - أنّ من النّاس مَن امتلأ قلبه بمحبّة هذا الرّجل وتعظيم أقواله واعتقاد ولايته، مما يصعب معه مخالفتُه.

ومن اللّافت أنه لم يكن يكفّ عن تفخيم المعارف التي يوردها في كتبه باعتبارها فُتُوحات وكُشُوفات إلهاميّة لا يتلقّاها العارف إلّا حين يغيب عن

(١) مقدّمة أبي العلا عفيفي على كتاب فُصُوص الحكم (١٦) باختصارٍ يسير.
(٢) نفح الطِّيب للمقري (٢/ ١٧٨).

الشّاهد، وتنفصل روحُه عن الحسّ لتتصل بمشكاة الحضرة القدسيّة التي تفيض على عقله من العلوم والمعارف بحسب منزلته وصفاء قلبه.

هذا شأنه في «الفُتُوحات»[١].

وأمّا في كتابه «الفُصُوص» فاستعمل أسلوبًا آخر، حيث قال في مقدِّمته: "أمّا بعد، فإني رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله في مبشِّرة أُريتُها في العشر الآخر من محرَّم سنة سبع وعشرين وستمائة بمحروسة دمشق، وبيده -صلى الله عليه وآله- كتابٌ، فقال لي: هذا كتابُ «فُصُوص الحِكَم» خذه واخرُجْ به إلى النّاس ينتفعون به، فقلتُ: السَّمعَ والطاعةَ لله ولرسوله وأولي الأمر منّا كما أُمِرْنا"[٢].

---

(١) انظر: الفُتُوحات المكِّيّة لابن عربي (٢/ ٤٨).

(٢) انظر: فُصُوص الحكم لابن عربي (٤٧).

تنبيه: تأمّل كيف يذكر هذه المبشِّرة -على حدّ تعبيره- في مطلع كتابٍ حشاه بالكفريّات، وقد قال فيه شيخ الإسلام ابنُ تيميّة في مجموع فتاواه (٢/ ٣٦٤): "ما تضمّنه كتابُ فُصُوص الحِكَم وما شاكله من الكلام فإنه كفرٌ باطنًا وظاهرًا، وباطنه أقبح من ظاهره".

وقال الحافظ الذّهبيُّ في سير أعلام النّبلاء (٢٣/ ٤٨): "ومن أردإ تواليفه كتاب الفُصُوص؛ فإن كان لا كفرَ فيه فما في الدّنيا كفر! نسأل الله العفو والنّجاة".

وقال الشّيخ شرفُ الدِّين عيسى الزّواوي المالكيّ في العقد الثّمين للفاسي (٢/ ١٧٦): "ما تضمّنه هذا التّصفيف من الهذيان والكفر والبهتان فكلُّه تلبيس وضلال وتحريف وتبديل، ومن صدّق بذلك أو اعتقد صحّتَه كان كافرًا ملحدًا صادًّا عن سبيل الله تعالى".

وأشار الجلالُ السّيوطي في التّحبير في علم التّفسير (٣٢٦) إلى أنّ كتاب الفصوص كفرٌ كلُّه.

كما أفتى جماعة بإتلاف نُسَخِه بالتّحريق والتّمزيق والغسل بالماء، وبتحريم مطالعة كتبه على العموم؛ لأنها مشحونة بما يخالف عقائد المسلمين. انظر: تاريخ ابن الوردي (٢/ ٣٢٥)، العقد الثّمين في تاريخ البلد الأمين (٢/ ١٧٢ و١٧٧)، تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي (١٦٨)، الضّوء اللّامع (٣/ ٣١ و٣٢)، الرّدّ على القائلين بوحدة الوجود (٣٨).

وما من شكّ في أنّ لمثل هذه الأساليب وقعًا عظيمًا لدى كلّ من يعتقد ولايتَه من العامّة والخاصّة، ممن عَرَفَ زهدَه واجتهاده في العبادة، وبانتهاجه إياها يكون قد نجح في تمرير آرائه وإغلاق كلّ باب مخالفة أو معارضة، والواحد من هؤلاء متى ما رأى في تقريراته ما يصادم حقائق القرآن لم يجرؤ على تخطئته، وإنما طفق يقلّب كلامَه ظهرًا لبطن باحثًا له عن مخرج ولو كان بعيدًا متكلَّفًا! وكما قال بعضهم: "فأحسنِ الظّنَّ به، ولا تنتقِدْ بل اعتَقِدْ، وللنّاس في هذا المعنى كلامٌ كثير والتّسليم أسلم، والله سبحانه بكلام أوليائه أعلم"[١].

قال الحافظ أبو عبد الله الذّهبي (٧٤٨هـ): "صنّف التّصانيف في تصوُّف الفلاسفة وأهل الوحدة، فقال أشياءَ منكرة عدّها طائفةٌ من العلماء مروقًا وزندقةً، وعدَّها طائفةٌ من العلماء من إشارات العارفين ورموز السّالكين، وعدَّها طائفةٌ من مُتشابِه القول، وأنّ ظاهرَها كفرٌ وضلال وباطنَها حقٌّ وعرفان، وأنه صحيح في نفسه كبير القدر"[٢].

وبناءً على ما سبق فقد وقع النّزاع في ثبوت ذلك عنه على أقوال:

القول الأوّل: إنه ثابت عنه، وإليه ذهب الأكثرون مستدلّين بما وقع في كتبه من الكلام الصّريح، ومن أوضحه قولُه في الفصّ الموسويّ: "وكان [يعني: موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ] قُرّةَ عين لفرعون بالإيمان الذي أعطاه الله عند الغَرَق، فقَبَضَهُ طاهرًا مطهَّرًا ليس فيه شيء من الخبث؛ لأنه قبضَه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئًا من الآثام، والإسلام يجبّ ما قبله"[٣].

---

(١) نفح الطِّيب للمقري (٢/ ١٦٨).

(٢) انظر: ميزان الاعتدال للذّهبي (٦/ ٢٧٠).

(٣) انظر: فُصُوص الحكم لابن عربي (٢٠١).

وقولُه أيضًا: "فنجّاه الله من عذاب الآخرة في نفسه"[١]، وأنه "قد عمّته النّجاة حسًّا ومعنى"[٢]، ولم يكتفِ بهذا القدر بل زعم أنّ "هذا هو الظّاهر الذي ورد به القرآن!"[٣].

وقد صحّح نسبة هذا القول إليه جماعات، منهم: شيخُ الإسلام ابن تيميّة[٤]، وشمس الدِّين ابن المحبّ المقدسيّ (٨٢٨هـ)[٥]، والعلاءُ البخاريّ الحنفيّ (٨٤١هـ)[٦]، ومفتي الدّيار اليمانيّة الحسينُ بنُ عبد الرّحمن الأهدل (٨٥٥هـ)[٧]، والشّيخُ إبراهيمُ بن محمد الحَلَبيّ الحنفيّ (٩٥٦هـ)[٨]، والعلّامةُ المتفنّنُ مرتضى الزَّبِيديّ[٩]، والعلّامةُ المفسّر أبو الثّناء الآلوسي[١٠]، والمحدِّثُ محمد أنور شاه الكشميري[١١].

القول الثّاني: أنّ الكلام ثابتٌ عنه لكنه فُهم على غير وجهه، وأنّ "حاصل مقاله أنّ إيمانَه معتبر عنده من حيث رفع الكفر، وإن كان غيرَ معتبر من حيث التّوبة"[١٢].

---

(١) انظر: المصدر السّابق (٢١٢).
(٢) انظر: المصدر السّابق (٢١٢).
(٣) انظر: المصدر السّابق (٢١٢).
(٤) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ٢٧٩).
(٥) انظر: العقد الثّمين في تاريخ البلد الأمين للفاسي (٢/ ١٨٩).
(٦) انظر: فاضحة الملحدين وناصحة الموحِّدين لعلاء الدّين البخاري (١٦٨).
(٧) انظر: كشف الغطاء للأهدل (١٨٨).
(٨) انظر: نعمة الذّريعة في نصرة الشّريعة لإبراهيم الحلبي (٢٠٩).
(٩) انظر: إتحاف السّادة المتّقين للزَّبيدي (٢/ ٢٤٥).
(١٠) انظر: روح المعاني للآلوسي (١١/ ١٨٦) و (١١/ ١٨٦).
(١١) انظر: فيض الباري للكشميري (١/ ٢٤٦).
(١٢) المصدر السّابق (٥/ ٢٨٤). وانظر كذلك: (٣/ ٧١).

وهذا التّوجيه لا يساعد عليه كلامُ ابن عربي؛ لأنه صرّح فيما نقلناه عنه آنفًا بأنّ الله قبض فرعون "طاهرًا مطهَّرًا ليس فيه شيء من الخبث، لأنه قبضَه عند إيمانه قبل أن يكتسب شيئًا من الآثام، والإسلام يجبّ ما قبله"، وأنه "نجّاه الله من عذاب الآخرة في نفسه"، وأنه "قد عمّته النّجاة حسًّا ومعنى"، وهذا كلُّه لا يتوافق مع دعوى ارتفاع اسم الكفر عنه بموجب الإيمان الظّاهريّ.

وقد تأوّل بعضُ العلماء أنّ مراده بـ(فرعون: النّفس)[١]؛ استنادًا إلى بيتين يُنسبان إليه، وهما:

قلبي قُطْبي وقالبي أجفاني   سِرِّي خَضِرِي وعَيْنُهُ عرفاني

روحي هرون وكليمي موسى   نفسي فرعون والهوى هاماني

وعندي أنّ هذا التّأويل في غاية البُعد لأمرين:

أ- أنّ ابن عربي كان يتكلّم على الآيات التي تحكي قِصّة فرعون وغرقه، فالقول بأنه يقصد بـ(فرعون = النّفس) تمحُّل ظاهر؛ إذ انتُزِعَ الكلامُ من سياقه ووضع في سياق آخر لا علاقة له به البتّة[٢].

ب- أنّ هذين البيتين[٣] لا يوجدان في ديوانه، ولا يُشبِهان نفَسه الشِّعريَّ فهو أعلى طبقةً وأحكم نظمًا، وقد وجدتُ بعضهم قد نسبهما إلى الشّيخ عبد القادر بن موسى الجيلانيِّ (٥٦١هـ)[٤]، وبناءً على ذلك نقول: هل يصحّ أن يؤول كلام

(١) انظر: حاشية الشّهاب على تفسير البيضاوي للخفاجي (٥/ ٥٧)، نفح الطِّيب للمقري (٢/ ١٦٩)، التّاج المكلّل لِلقَنُّوجي (١٦٦).

(٢) هذا التّفسير منقولٌ عن باطنية الصُّوفيّة. انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (١٣/ ٢٣٨).

(٣) هذان البيتان -على فرض كونهما بيتي شعر- لا يوافقان أيًّا من أوزان بحور الشعر العربيّ.

(٤) انظر: الفيوضات الرّبّانيّة في المآثر ووِرد القادريّة (١٨١) باختلافٍ يسير.

الرّجل عن الظّاهر القريب إلى معنىً آخر بعيد استنادًا إلى كون ذلك المعنى ورد في بيتين لغيره؟!

القول الثّالث: أنّ كلامه في هذه المسألة متناقض، فهو تارةً يثبت وتارةً ينفي، ومن ثمّ فلا يصحّ الجزم بأنّ القول بـ(إيمان فرعون) هو قولُه، وممن ألمح إلى شيء من ذلك العلّامةُ علي بن سلطان القاري الحنفيّ (١٠١٤هـ)، حيث أشار إلى "أنّ ابنَ عربيٍّ عارض نفسَه لكونه جزم بإيمان فرعون أوّلًا ثمّ شكّ في حقِّه بقوله في «الفتُوحات»: أمرُه إلى الله!

بل صرّح في الباب الثّاني والسِّتّين من «الفُتُوحات» أنّ أهل النّار أربعة طوائف من الكفّار: وهم المتكبِّرون على الله كفرعون وأمثالِه ممن ادّعى الرُّبوبيّة لنفسه ونفاها عن غيره فقال ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، وقال ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]"[١].

وعليه فإذا كان قد قال هذا الكلام في كتابه «الفُتُوحات المكِّيّة» الذي هو آخر كتبه تأليفًا[٢] فكيف يُنسب إليه خلافُه مما قاله أوّلًا؟!

وهذا الكلام له حظّ كبير من النّظَر لو سلم من المعارض، غير أنّ من طالع

---

(١) انظر: الرّدّ على القائلين بوحدة الوجود للقاري (٨٧). وانظر الكلام بتمامه في الفُتُوحات المكِّيّة لابن عربي (١/ ٣٠١).

(٢) انظر: التّاج المكلَّل للقَنُّوجي (١٦٥).

قلتُ: الذي يظهر أنّ جَعْلَه الفُتُوحات المكِّية هو آخر ما صنّفَه ابنُ عربيّ -هكذا بإطلاق- فيه نظر، فقد استغرق في تأليفه ثلاثين سنة كتَبَهُ خلالها مرّتين، كما أنه ذكره في بعض كتبه كالفُصُوص مثلًا (٢٢٤). وانظر للاستزادة: كتاب «مؤلّفات ابن عربي: تاريخها وتصنيفها» لعثمان يحيى (٨٢).

«الـفُـتُـوحات» وجد له كلامًا آخر يوافق كلامَه في «الفصوص» إلى حدّ كبير، ومن ذلك قولُه: "ثمّ إنّ الله صدّقَه في إيمانه بقوله: ﴿ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ ﴾ [يونس: ٩١] فدلّ على إخلاصه في إيمانه، ولو لم يكن مخلصًا لقال فيه تعالى كما قال في الأعراب الذين قالوا: ﴿ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ﴾ [الحجرات: ١٤] فقد شهد الله لفرعون بالإيمان، وما كان الله ليشهد لأحدٍ بالصِّدق في توحيده إلّا ويجازيه به.

وبعد إيمانه فما عصى، فقبله الله - إن كان قبله - طاهرًا، والكافر إذا أسلم وجب عليه أن يغتسل، فكان غَرَقُه غُسلًا له وتطهيرًا، حيث أخذه الله في تلك الحالة﴿ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴾ [النّازعات: ٢٥]، وجعل ذلك عِبرةً لمن يخشى!

وما أشبَهَ إيمانُه إيمانَ مَن غرغر؛ فإنّ الـمُغَرغِر موقنٌ بأنه مفارقٌ قاطعٌ بذلك، وهذا الغَرِقُ هنا لم يكن كذلك؛ لأنه رأى البحر يَبَسًا في حقّ المؤمنين فعَلِمَ أنّ ذلك لهم بإيمانهم، فما أيقن بالموت بل غلب على ظنِّه الحياة، فليس منزلتُه منزلةَ مَن حضره الموت فقال: ﴿إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ ﴾ [النّساء: ١٨] ولا هو من ﴿ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ﴾ [النِّساء: ١٨] -وأمْرُهُ إلى اللّهِ تعالى-، ولَمَا قال الله له: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ ﴾[يونس: ٩٢] كما كان قوم يونس"[(١)].

فهو في هذا النصّ وإن جعل أمرَ فرعون إلى الله تعالى إلّا أنه لا يخفى ميلُه القويّ إلى القول بصحّة إيمانه ونجاته.

وقوله أيضًا: "... فصار الموت فيه شهادةٌ خالصةٌ بريئة لم تتخلَّلْها معصية،

(١) الفُتُوحات المكِّيّة لابن عربي (٢/ ٤١٠).

فقبضت على أفضل عمل وهو التّلفُّظ بالإيمان، كلُّ ذلك حتى لا يقنط أحدٌ من رحمة الله – والأعمال بالخواتم –، فلم يزل الإيمانُ بالله يجول في باطنه...

ثم قوله تعالى في تتميم قِصّته هذه: ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴾ [يونس: ٩٢]، وقد أظهرتُ نجاتَك آيةً؛ أي: علامةً على حصول النّجاة، فغفل أكثر النّاس عن هذه الآية وقضوا على المؤمن بالشّقاء.

وأمّا قوله: ﴿ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾ [هود: ٩٨] فما فيه نصٌّ أنه يدخلها معهم، بل قال الله: ﴿ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ ﴾ [غافر: ٤٦] ولم يقل: أدخلوا فرعون وآله.

ورحمة الله أوسع من حيث أن لا يقبل إيمانَ المضطرّ، وأيُّ اضطرارٍ أعظم من اضطرار فرعون في حال الغرق والله يقول: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النّمل: ٦٢]؟! فقرن للمضطرِّ إذا دعاه الإجابةَ وكشفَ السّوء عنه، وهذا آمنَ لله خالصًا وما دعاه في البقاء في الحياة الدنيا خوفًا من العوارض أو يحال بينه وبين هذا الإخلاص الذي جاءه في هذه الحال، فرجَّحَ جانبَ لقاء الله على البقاء بالتّلفُّظ بالإيمان، وجعل ذلك الغرقَ ﴿ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾ [النّازعات: ٢٥]، فلم يكن عذابُه أكثرَ من غمِّ الماء الأُجَاج، وقبَضَهُ على أحسن صفة، هذا ما يُعطي ظاهر اللّفظ"[١].

القول الرّابع: أنه مدسوس عليه، وإلى هذا ذهب عبدُ الوهّاب بن أحمد الشّعراني (٩٧٣هـ) الصُّوفي المعروف، حيث قال: "قد يكون ذلك الكلام الذي أنكره بعضُهم على ذلك الوليّ مثلًا مدسوسًا عليه في كتبه، أو مفترى عليه، كما وقع في كتب الشّيخ محيي الدِّين ابن العربيّ رضي الله تعالى عنه؛ فإنهم دسُّوا عليه

(١) انظر: الفُتُوحات المكّيّة لابن عربي (٢/ ٢٧٧) باختصار.

جملةً من الأمور المخالفة لظاهر الشّريعة في كتاب «الفُتُوحات المكِّيّة» التي ألّفها رضي الله تعالى عنه، وفي «الفُصُوص» أيضًا"(١).

وقال أيضًا -: "جميع ما عارض من كلامه ظاهر الشّريعة وما عليه الجمهور فهو مدسوسٌ عليه كما أخبرني بذلك سيدي الشّيخ أبو الطّاهر المغربي نزيل مكّة المشرّفة، ثمّ أخرج لي نسخةً «الفُتُوحات» التي قابلها على نسخة الشّيخ التي بخطِّه في مدينة قونيه، فلم أرَ فيها شيئًا مما كنتُ توقّفتُ فيه وحذفتُه حين اختصرتُ «الفُتُوحات»"(٢).

وقال أيضًا: "ومن دعوى الـمُنكِر أنّ الشّيخ يقول بقبول إيمان فرعون، وذلك كذبٌ وافتراء على الشّيخ!"(٣).

وقال أيضًا: "كذب وافترى من نسب إلى الشّيخ محيي الدِّين أنه يقول بقبول إيمان فرعون!"(٤).

ولا شكّ أن هذا الاستبسال في تبرئته نابع من شدّة تعظيمه له واعتقاده لولايته؛ إذ "هو من أكبر معتقديه"(٥)، ولا أدلّ على ذلك مما يسبغه عليه من النّعوت الكماليّة في تآليفه إلى حدّ أنه يقول: "وجميع ما لم يفهمه النّاس من كلامه إنما هو لعلوّ مراقيه"(٦).

---

(١) انظر: لطائف المنن والأخلاق للشَّعراني (٢٣٥).

(٢) انظر: اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للشَّعراني (٢٣)، وهو يشير إلى كتابه الذي سمّاه (لواقح الأنوار القُدسيّة المنتقاة من الفُتُوحات المكِّيّة) وهو مطبوع.

(٣) انظر: المصدر السّابق (٣٣).

(٤) انظر: المصدر السّابق (٥٠٧).

(٥) فيض الباري للكشميري (٥/ ٢٨٤).

(٦) انظر: اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للشَّعراني (٢٢).

وهذه الإشكاليّة العميقة الضّاربة في تلافيف العقل الصُّوفي ناتجة عن تعاطيه مع كلام أئمّته على طريقة (اعتقِدْ ولا تنتقِدْ) و(واقبَلْ ولا تسْأَلْ).

وقد ردّ عليه هذه الدّعوى العلّامة مرتضى الزَّبيدي حيث قال: "أنت خبيرٌ بأنّ كلام الشّيخ في فُتُوحاته وفُصُوصه إذا جُمِع يجيء أكثرَ من عشرة أوراق، ومثل هذا لا يحتمل الدّسّ "(١).

كما ردّ عليه المحدّث محمد أنور شاه الكشميري في مواضع من شرحه على صحيح البخاري فقال: "ونُسِبَ إلى الشّيخ الأكبر رحمه الله تعالى أنه اعتبَر إيمانَ فرعون، قال الشّعراني: وهذا مدسوس والشّيخُ رحمه الله تعالى بريء منه.

قلتُ: بل هو مختار الشّيخ رحمه الله تعالى وليس بمدسوس، وقد نقل بحرُ العلوم في «شرح المثنوي» عبارات عديدة للشّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تدل على هذا المعنى "(٢).

وقال في موضع آخر: "وظنّي أنّ تلك النِّسبة صحيحة"(٣).

وقال في موضع ثالث: "والذي أظنّ أنه من كلام الشّيخ الأكبر -وإن أنكره الشّعراني-؛ لأني أعرف طريقَه، وأُميّز كلامه من غيره"(٤).

قلتُ: ومما يؤيّد كلام الكشميري أنّ ابن عربي تبنّى الرأيَ نفسَه في «الفُصُوص» وفي «الفُتُوحات»، كما أنّ «الفُتُوحات» قد طُبِعت في العصر الحديث غير مرّة، منها طبعة دار الكتب العربيّة الكبرى سنة ١٣٢٩هـ، التي

(١) إتحاف السّادة المتّقين للزَّبيدي (٢/ ٢٤٦).

(٢) فيض الباري للكشميري (٣/ ٧١).

(٣) المصدر السّابق (١/ ٢٤٦).

(٤) المصدر السّابق (٥/ ٢٨٤).

طُبعت على نسخةٍ قوبلت على نسخة قونيه التي هي بخط المؤلّف، ومع هذا فإنّ كلامه هذا موجودٌ فيها بعينه.

والشّعرانيّ حين يحاول تنزيهَ ابن عربي عن هذا القول مدّعيًا أنه ليس في نسخة قونيه يتناسى الحقيقة الـمُرّة، وهي أنّ الكفريّات في كتب الرّجل لا تنحصر في هذا القول فحسب بل هي أكثر من ذلك بكثير، وهذا القول من أخفِّها وأهونها[١]، وما أحراه بقول الأوّل:

كنّا نُداريها فقد مُزِّقَتْ ... واتّسَعَ الخرقُ على الرّاقعِ

كالثّوب إذ أنهجَ فيه البِلى ... أعيا على ذي الحيلةِ الصّانعِ[٢]

٢. **أبو بكر الباقلاني (٤٠٣هـ)**: وقد نسبَ إليه القولَ بـ(إيمان فرعون) عبدُ الوهاب الشَّعراني، ولعلّه أوّلُ من نسبه إليه حيث قال: "قال شيخ الإسلام الخالدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والشّيخ محيي الدِّين بتقدير صدور ذلك لم ينفرد به، بل ذهب جمع كثير من السّلف إلى قبول إيمانه لِمَا حكى الله عنه أنه قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠] وكان ذلك آخر عهده بالدّنيا.

وقال أبو بكر الباقلاني: قبول إيمانه هو الأقوى من حيث الاستدلال، ولم يردنا نصٌّ صريح أنه مات على كفره انتهى"[٣].

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ١٢٥).

(٢) الأمالي في لغة العرب للقالي (٣/ ٧٤)، جمهرة الأمثال للعسكري (١/ ١٦٠)، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر (٢٣/ ١٢٧).

(٣) اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر للشَّعراني (٣٣).

وعزاه إليه مرتضى الزَّبيدي أيضًا[١]، غير أنّ مما يُقطع به أنه لم يَنقله عن شيء من كتب الباقلاني؛ لأنه اكتفى بعزو القول إليه دون أن يبيّن في أيٍّ كتاب قال الباقلانيّ ذلك خلافًا لعادته في التّوثيق، في حين أنه لما نقل بعده مباشرة كلامًا للهيتميِّ (٩٧٤هـ) أفصح عن المصدر فقال: "وقال ابنُ حجر المكّيُّ في «التُّحفة»".

وعليه فالغالب على الظّن أنّ الشّعراني هو مصدر الزَّبيدي في هذا العزو[٢]، وعلى كلٍّ فالذي يظهر أنّ هذه النِّسبة غير صحيحة للأسباب التّالية:

- أنّ الشَّعْراني انفرد بهذه النِّسبة، ولم نجد أحدًا عزاها إلى الباقلاني إلّا وهو يعتمد عليه إمّا صراحةً وإمّا بقرينة.

- أنّ هذا النّقل المعزوّ إلى (شيخ الإسلام الخالدي) هو نقلٌ عن مجهول، فلا أحد يعرف هذا الرّجل مع كثرة السّؤال والتّفتيش عنه، وقد جرت العادة أنّ هذا الّلقب الفخم (شيخ الإسلام) لا يُطلق إلّا على من ذاع صيتُه واشتَهر علمُه وفضلُه بحيث لا يُجهل مثلُه.

- ثمّ هل يمكن لرجل لُقِّب بـ(شيخ الإسلام) أن يقع في مثل هذا الخطأ العلميّ الكبير بنسبة قولٍ إلى "جمع كثيرٍ من السّلف" مع أنه لم يقل به في حقيقة الأمر أحد من السّلف؟!

جـ- أنّ الباقلاني من أئمّة المتكلِّمين وأحد أساطين النّظار، وقد كانت آراؤه

---

(١) انظر: إتحاف السّادة المتّقين للزَّبيدي (٢/ ٢٤٦).

(٢) للصُّوفيّة سوابقُ في الكذب على العلماء دفاعًا عن ابن عربيّ. انظر: العقد الثّمين في تاريخ البلد الأمين (٢/ ١٨٣).

وكتبه محلّ عناية لدى العلماء الموافقِ منهم والمخالف، ومن المعلوم أنّ من كان في مثل مكانته العلميّة يبعد بل يستحيل أن يتبنّى القول بـ(إيمان فرعون) دون أن ينقله عنه أحد على مدى خمسة قرون، حتى يجيء أحد مجاذيب الصُّوفيّة في القرن العاشر فيعزوه إليه.

ثمّ إنه كان قد قمع خصومه من المعتزلة والكرّاميّة والرّافضة وغيرهم وأذاقهم العلقم بقلمه وبلسانه، فهل يمكن أن يتبنّى هذا القول الشّاذّ الذي لم يقل به أحد من الطّوائف حتى الروافض ثمّ يتركه هؤلاء دون تشنيع أو استطالة؟!

د- أنّ الموجود في كتب الباقلاني المطبوعة مخالف لهذا النّقل، فقد عرض لذكر فرعون في مناسبات كثيرة ولم نجد رائحةً لهذا القول، بل على العكس من ذلك فهو تارةً يُسمِّيه باللّعين فرعون(١)، وتارةً يقرنه بأئمّة الكفر قارون وهامان وأبي لهب وأبي جهل بن هشام، وعتبةَ وشيبةَ والوليدِ(٢).

والذي يغلب على الظنّ بموجَب هذه الأدلّة -والعلم عند الله- أنّ (شيخ الإسلام الخالدي) شّخصيّةٌ وهميّة لا وجود لها إلّا في خيال الشَّعْراني، دعاه إلى افتعالها حبُّه لابن عربيّ وحرصُه على الدّفاع عنه، ولم يجد أفضل من ادّعاء أنه مسبوق بهذا القول من قِبَل "جمعٍ كثيرٍ من السّلف"!

وقد اختار الباقلانيَّ بعينه لعلمه بسموّ مكانته عند العلماء وشدّة توقيرهم له، فإذا ما نَسب القول إليه خفّ النّكير على ابن عربيّ.

وخوفًا من أن يُفتضح أمرُه افتعل هذا الكلام وذلك النّقل على لسان تلك

---

(١) انظر: الإنصاف للباقلاني (٢٨) و (١١٤) و (١٣٦) و(١٧٧).

(٢) انظر: الانتصار للقرآن للباقلاني (٢/ ٥٢٧).

الشّخصيّة الوهميّة التي اكتفى بتسميتها بـ(الخالديّ) دون تمييز كي لا يُهتدى إليها، ولئلّا يَجترئَ عليه أحد بالتّكذيب.

ولأنّ النّقل عن هذا المغمور الذي لا يُعرف (الخالديّ) لن يكون له وزن استعاض عن ذلك بتلقيبه بـ(شيخ الإسلام) إمعانًا منه في الخداع والتّضليل.

٣. **جلال الدِّين الدّواني (٩٠٨هـ)**: وهو من أشهر من تبنّى القول بـ(إيمان فرعون)، وصنّف في ذلك رسالة صغيرة للغاية، طُبِعَت باسم «رسالة في إيمان فرعون» "أتى فيها بما لا يُعَدّ شيئًا عند أصاغر الطّلبة"[(١)] على حدّ تعبير العلّامة أبي الثّناء الآلوسي.

وقد تولّى الردّ عليها العلّامةُ عليّ القاري الحنفيّ برسالة سمّاها «فرّ العون من مدّعي إيمان فرعون».

وقد ذهب بعضُهم إلى عدم صحّة نسبة تلك الرِّسالة إلى الدّواني، ومن هؤلاء أحمد بن محمد الخفاجي المعروف بالشِّهاب (١٠٦٩هـ)، حيث قال: "وأمّا ما وقع في «الفُصُوص» من صحّة إيمانه وأنّ قوله: ﴿ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس: ٩٠] إيمانٌ بموسى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فمخالفٌ للنّصِّ والإجماع وإن ذهب إلى ظاهره الجلالُ الدّواني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وله رسالةٌ فيه طالعتُها وكنتُ أتعجّب منها حتى رأيتُ في «تاريخ حلب» للفاضل الحلبي أنها ليست له، وإنما هي لرجل يُسمّى محمد بن هلال النّحويّ"[(٢)].

---

(١) روح المعاني للآلوسي (١١/ ١٨٦).

(٢) حاشية الشّهاب على تفسير البيضاوي للخفاجي (٥/ ٥٦).

ووافقه على ذلك الآلوسي الكبير فيما نقله عنه ابنُه نعمان (١٣١٧هـ)[١].

٤. **ابن حجر الهَيْتَمِي (٩٧٤هـ)**: من طالع كتب هذا الفقيه المكِّي لم يتطرّق إليه شكّ في تصوّفه واعتقاده بولاية ابن عربيّ وأضرابه، فهو يصفه بـ"الإمام العارف المحقِّق"[٢]، ويرى استحبابَ مطالعة كتبه، ويشير إلى منزلتها فيقول: "كم اشتملت تلك الكتب على فائدةٍ لا توجد في غيرها، وعائدةٍ لا تنقطع هواطل خيرِها، وعجيبةٍ من عجائب الأسرار الإلهيّة التي لا ينتهي مددُ خيرها!"[٣].

ويذكر أنّ من كراماته "أنه مكث على ثلاثة أشهر على وضوء واحد...، ووقع له ما هو أعظم من ذلك ومنه أنه لـمّا صنّف كتابه «الفُتُوحات المكِّيّة» وضعَهُ على ظهر الكعبة ورقًا من غير وقايةٍ عليه فمكث على ظهرها سنة لم يمسَّه مطر، ولا أخذ منه الرِّيحُ ورقةً واحدة مع كثرة الرّياح والأمطار بمكة، فحفظُ الله كتابَه هذا من هذين الضِّدّين دليلٌ أيّ دليل! وعلامةٌ أيّ علامة على أنه تعالى قَبِلَ منه ذلك الكتاب وأثابَه عليه وحمد تصنيفه له، فلا ينبغي التّعرُّض للإنكار عليه؛ فإنه السُّمُّ القاتل لوقته، كما شاهدناه وجرّبناه في أناسٍ حقّ عليهم من المقت وسوءِ العقاب ما أوجب لهم التّعرُّضَ لهذا الإمام العارف بالإنكار، حتى استأصل شأفتَهم وقطع دابرهم، فأصبحوا لا ترى إلّا مساكنهم"[٤].

كما عيّن بعضَ من عوقب -بزعمه- بسبب إنكاره فقال: "ولقد بالغ البِقَاعي في الإنكار وصنّف فيه مصنّفات كلُّها صريحةٌ في غاية التعصُّب والميلِ عن سبيل

(١) انظر: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين لنعمان الآلوسي (٣٨١).

(٢) الزّواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي (١/ ٥٦).

(٣) الفتاوى الحديثيّة للهيتمي (٢١٠).

(٤) المصدر السّابق (٢١٠) باختصارٍ يسير.

الاستقامة، ومِن ثَمّ جُوزي بما مرّ وبأقبحَ منه، وهو أنه ضُبِط عليه في مناسباته فحُكِم بتكفيره وإهدار دمه، ولم يَبقَ من ذلك إلّا إزهاق روحه لولا استعان ببعض الأكابر حتى خلّصَه من تلك الورطة، واستتيب في الصّالحيّة بمصر وجدَّدَ إسلامَه"(١).

وحين تكلّم عليه وعلى الحلّاج وغيرهما من الصُّوفيّة أردف بقوله: "ونسأل الله... وأن يحشرنا تحت مواطئ أقدام هؤلاء الأئمّة الأكابر الأخيار"(٢).

وقد نسب إليه بعضُ الفضلاء المعاصرين ترجيحَ القول بإيمان فرعون(٣)، إلّا أنّ في هذه النِّسبة شيئًا من المجازفة، فالرّجل وإن كان لا يُخفي حبَّه لابن عربي واعتقاده به إلّا أننا لم نجد فيما بين أيدينا من نصوصه ما يدلّ على ذلك، فهو ينقل إجماعَ علماء الأُمّة ومجتهديها على كفر فرعون(٤)، ويقرِّر أنّ "مذهب أهل الحقّ أنّ الإيمان لا ينفع عند الغرغرة، ولا عند معاينة عذاب الاستئصال"(٥).

وحين نقل تقريرَ ابن عربيّ لإيمان فرعونَ واستدلالِه عليه عقَّب بقوله: "ليس هذا الكلام مقرَّرًا وإن كنّا نعتقد جلالة قائله؛ فإنّ العصمة ليست إلّا للأنبياء!"(٦)، معلِّلًا لذلك بأنه إنما "آمن عند نزول عذاب الاستئصال له ولقومه، والإيمانُ حينئذٍ غير نافع"(٧)، وانتهى إلى أنه "إذا ثبت واتّضح أنه لا يصحّ إيمان

(١) المصدر السّابق (٣٩).

(٢) الفتاوى الحديثيّة للهيتمي (٤١) باختصارٍ يسير.

(٣) انظر: موسوعة أهل السُّنّة لدمشقيّة (٢/ ٩٩٩).

(٤) انظر: الزّواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي (١/ ٥٤).

(٥) المصدر السّابق (١/ ٥٤).

(٦) المصدر السّابق (١/ ٥٧).

(٧) المصدر السّابق (١/ ٥٥).

اليأس ثبت أنّ إيمان فرعون لا يصحّ "[١].

ولـمّا سُئل "هل ورد في موت فرعون كافرًا حديث؟

أجاب: نعم، ورد فيه أحاديث "[٢].

ومع وضوح موقف الهيتميّ في هذه المسألة إلّا أنه -وبسبب تصوّفه- لم يستطع إخفاء تعاطفه الكبير مع ابن عربيّ وحرصِه على التّهوين من شأن شذوذه في هذه المسألة، فهو يقول: "إيمانُ فرعون -الذي زعمه قوم- لا قطعَ على عدمه، بل ظاهرُ الآية وجوده، وألّفَ فيه مع الاسترواح في أكثره بعضُ محقِّقي المتأخِّرين من مشايخنا...

وبما تقرّر عُلِم خطأُ مَن كفّر القائلين بإسلام فرعون؛ لأنّا وإن اعتقدنا بطلانَ هذا القول لكنه وإن وردت به أحاديثُ وتبادَرَ من آيات أوّلَها المخالفون بما لا ينفع غير ضروري "[٣].

وفي موضع آخر يشير إلى أنّ قول ابن عربي بـ(إسلام فرعون) "لا يقتضي كفرًا، وإنما غايتُه أنه خطأ في الاجتهاد، وهو غير قادح في صاحبه؛ إذ كلٌّ من العلماء مأخوذ من قوله ومردود عليه إلّا المعصومين "[٤].

ولا يفوته حين يخطِّئ القول المذكور أن يُذكِّر بـ"جلالة قائله" و"أنّ العصمة

---

(١) المصدر السّابق (١/ ٥٨).

(٢) الفتاوى الحديثيّة للهيتمي (٢٠٦). وانظر كذلك: (٢٠٧).

(٣) تحفة المحتاج في شرح المنهاج وحواشي الشّرواني والعبادي (٩/ ٨٨) بشيء من الاختصار.

تنبيه: هكذا في الأصل، وكأنّ في السِّياق سقطًا والله أعلم.

(٤) الفتاوى الحديثيّة للهيتمي (٢٤١).

ليست إلّا للأنبياء"(١).

٥. **محمد بن عبد الرسول البَرَزَنْجِي (١١٠٣هـ)**: سبقت الإشارة في المبحث الأوّل إلى أنّ البَرَزَنْجي ممن قال بـ(إيمان فرعون)، وقد صنّف في ذلك كتابًا سمّاه «التّأييد والعون للقائلين بإيمان فرعون»، كما ترجم كتاب «الجانب الغربي» للكازروني عن الفارسيّة إلى العربيّة وسمّاه «الجاذب الغيبي»، والكتاب مخصّص للردّ على الاعتراضات الموجّهة لهذا القول(٢)، وكلا كتابيه لم يُطبع.

وقد ذكر الزَّبِيديّ خبرًا لطيفًا في هذا الصّدد لا بأس من إيراده حيث قال: "حكى لي بعض من أثق به من السّادة أنّ الإمام العلّامة الشّيخ حسن بن أحمد باغتر الحضرمي حين وفد إلى المدينة -على ساكنها أفضل الصّلاة والسّلام- فاوض مع المذكور [يعني: البَرَزَنْجِي] في هذه المسألة وأنّ عدم إيمانه مما أُجمع عليه، وطال بينهما الكلام إلى أن انفصلا من غير مرام، فلما أصبح لقيه فأوّل ما فاتَحَهُ به أن قال له: السّلام عليك يا أخا فرعون! فتنغّصَ السيّد جدًّا، وانحرف مزاجه على المذكور [يعني: باغتر] وعُرِفَ منه ذلك، وشكاه عند بعض الناس فلاموه، فاعتذر لهم أني ما قلت شطَطًا! هو يقول بإيمان فرعون ويُثبته، والمؤمنون إخوة، فلمَ يتأذّى من أخوَّةِ فرعون وهو مؤمن عنده؟! فانقطعوا"(٣).

ولقد صدق شيخ الإسلام ابن تيميّة حين قال: "ما أخلق المحاجَّ عن فرعون أن يكون بهذه المثابة؛ فإنّ المرء مع مَن أحبّ"(٤).

---

(١) الزّواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي (١/ ٥٧).

(٢) انظر: إتحاف السّادة المتّقين للزَّبيدي (٢/ ٢٤٦).

(٣) إتحاف السّادة المتّقين للزَّبيدي (٢/ ٢٤٦).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ٢٨٣).

٦. **عبد الغني بن إسماعيل النّابلسي الحنفيّ (١١٤٣هـ)**: هذا الرّجل مشهور بتصوُّفه، ينتمي إلى الطّريقة النَّقْشَبَنْدِيّة القادريّة[١]، وهو من القائلين بوحدة الوجود، وله في هذه المسألة رسالة مطبوعة سمّاها «إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود»، دافع فيها عن القائلين بذلك واصفًا إيّاهم بـ"أنهم العلماء المحقِّقون، والفضلاء العارفون، أهل الكشف والبصيرة، الموصوفون بحسن السِّيرة وصفاء السّريرة، كالشّيخ محيي الدِّين ابن عربي، والشّيخ شرف الدِّين بن الفارض، والعفيف التّلمساني، والشّيخ عبد الحقّ بن سبعين، والشّيخ عبد الكريم، وأمثالهم"[٢].

ولم يتبنَّ القولَ بـ(إيمان فرعون ونجاته في الآخرة) فحسب، وإنما كان من المنافحين عنه والمستدلّين له، كما يظهر ذلك جليًّا في كتابه «لمعان الأنوار في المقطوع لهم بالجنّة والمقطوع لهم بالنّار»[٣].

٧. **أحمد بن الصِّدِّيق الغُمَاري (١٣٨٠هـ)**: ينحدر هذا الرّجل من بيت علم معروف، وقد نشأ في بيئةٍ يغلب عليها الطّابع الصُّوفيّ، فأبوه مؤسِّس الطّريقة الصِّدِّيقيّة الدّرقاويّة الشّاذليّة في طنجة، وقد خلف أباه بعد وفاته سنوات عدّة[٤].

وعلى الرّغم من اشتهاره بالاشتغال بالحديث وتمكُّنه من علومه ودعوته المطلقة إلى الاجتهاد ونبذ التّقليد، إلّا أنه لم يستطع الانفكاك من رِبقة التّصوّف، وله طوامّ في هذا الباب، كما أنه شديد الدّفاع عن ابن عربي الذي يجري فيه على

---

(١) انظر: سلك الدُّرَر في أعيان القرن الثّاني عشر للمرادي (٣/ ٣٠).

(٢) إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود للنّابلسي (٧).

(٣) انظر: لمعان الأنوار للنّابلسي (٣٩). وانظر كذلك: جواهر النّصوص في حلّ كلمات الفُصُوص له أيضًا (٢/ ٣٠٠).

(٤) انظر: البحر العميق في مرويّات ابن الصِّدِّيق للغُمَاري (٤٩ – ٧٢).

سَنن الطُّرقيّة بتسميته بـ(الإمام الأكبر)[١]!

وأمّا عن رأيه في أشهر كتبه فيقول: "و«الفُتُوحات» و«الفُصُوص» مشحونة بالمعارف الإلهيّة التي عجز أن يأتيَ بمثلها كبار العارفين لا بالطّامّات، نعم هي طامّات على الجهلة؛ لأنها سبب في هلاكهم ووقوعهم في محاربة الله تعالى بمحاربة أوليائه..."[٢].

ويقول أيضًا: "مسألة (إيمان فرعون) ألّفَ فيها إثباتًا وانتصارًا للشّيخ الأكبر العلّامةُ الجامي، وردّ عليه ذلك المغفَّل عليّ القاري الحنفي بكتابٍ سمّاه «فَرّ العون من مدّعي إيمان فرعون» مطبوع بالآستانة هو والأصل المردود عليه.

ولكن انبرى له العلّامة الصُّوفيُّ المطّلِع المتضلّع من العلوم المعقولة والمنقولة محمد بن رسول البَرَزَنْجي، فألّفَ كتابًا لطيفًا سمّاه «التّأييد والعون لمدّعي إيمان فرعون» أتى فيه بما يبهر العقول"[٣]، ثمّ استرسل في تأييد هذا القول والاستدلال له.

المبحث الثالث

أدلّة القائلين بإيمان فرعون والردّ عليهم

لا يستريب عاقل في أنّ الأدلّة والبراهين على عدم إيمان فرعون من الكتاب والسُّنّة أوضح من الشّمس في رابعة النّهار، ولهذا حكى غير واحد انعقاد الإجماع على ذلك[٤].

---

(١) انظر: الجواب المفيد للسّائل المستفيد للغُمَاري (٩٦).

(٢) المصدر السّابق (٩٧).

(٣) المصدر السّابق (٩٦).

(٤) انظر: الزّواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي (١/ ٥٤)، ردّ المحتار على الدُّرّ المختار لابن =

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة مبيِّنًا خطورة القول بإيمانه: "هذا القول كفرٌ معلوم فساده بالاضطرار من دين الإسلام، لـم يَسبِق ابنَ عربي إليه - فيما أعلم - أحدٌ من أهل القِبلة، بل ولا من اليهود ولا من النّصارى، بل جميع أهل الملل مطبقون على كفر فرعون"[١].

وقال أيضًا: "كفرُ فرعون وموتُه كافرًا وكونُه من أهل النّار هو ممّا عُلِم بالاضطرار من دين المسلمين، بل ومن دين اليهود والنّصارى؛ فإنّ أهل الملل الثّلاثة متّفقون على أنه من أعظم الخلق كفرًا، ولهذا لم يذكر الله تعالى في القرآن قِصّة كافرٍ كما ذكر قِصّتَه في بسطها وتثنيتها، ولا ذَكَر عن كافر من الكفر أعظمَ مما ذكر من كفره واجترائه وكونِه أشدّ النّاس عذابًا يوم القيامة"[٢].

ولعلّ من المناسب أن نذكر أوّلًا ما تيسّر من أدلّة المسألة، ثم نعقِّب بذكر ما تعلّق به ابن عربيّ ومن دار في فلكه ممن يهرفون بما لا يعرفون، ولم يُغرِهم به سوى أنه قول محيي الدِّين وإمام العارفين، الإمام الأكبر والكبريت الأحمر!

۞ القسم الأوّل: الأدلّة على كفر فرعون وموته على ذلك.

من نظر في أدلّة المسألة بتجرّد لم يشكّ في ثبوت الإجماع وانعقاده على كفر فرعون وعدم نجاته، إذ لا يجد حرفًا وحدًا عن السّلف ولا من بعدهم يخالف صريح القرآن والسُّنة حتى أطلّ القرن السّابع فتبنّاه ابنُ عربي خارمًا بذلك الإجماع المتيقّن ومتلاعبًا بدلالات النّصوص، ومن المعلوم أنه متى ما ثبت

=

عابدين (٤/ ٢٣١)، روح المعاني للآلوسي (١١/ ١٨٤).

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ٢٧٩). وانظر كذلك: (٢/ ١٢٥).

(٢) جامع الرّسائل لابن تيميّة (٢٠٣).

الإجماع استُغني به عن إيراد آحاد الأدلّة.

ويمكن أن نقول قولًا كلِّيًّا، وهو أنه لم تأتِ في القرآن -الذي نزل لهداية الناس بلسان عربيّ مبين لا إبهام في معانيه ولا استغلاق في تراكيبه- آيةٌ تثني عليه أو تُشيد بتوبته ونحو ذلك، وردت الآيات في ذمِّه والتّحذير من سلوك طريقه باعتباره من أئمّة الطّغيان ورؤوس الكفر، وهذا ما كان يفهمه المسلمون على مدى قرون كما سبق.

وعلى كلٍّ فلا بدّ من إلمامة سريعة على أدلّة المسألة:

الدّليل الأوّل: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾ [هود: ٩٦ – ٩٩]

ودلالة هذه الآيات على موت فرعون على الكفر في غاية الظّهور، إذ جمع الله له بين عقوبتي الدّنيا والآخرة.

فهل هذه حال مَن قَبِل الله توبتَه ومنّ عليه بأن صعدت روحُه إلى السّماء طاهرًا مطهَّرًا ليلاقي ربَّه ولم تُكتَب عليه خطيئة كما يزعم ابن عربيّ؟!

ثمّ أين فرح الله سبحانه بتوبة العبد ورجوعه إليه وهو قد جعل مثواه نارًا تتلظّى ورفدَه لعنةً تلوَ أخرى؟! ألا يتعارض هذا بالكُلِّية مع ما ثبت في النّصوص[1]؟!

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٥/ ٢٣٢٤)، صحيح مسلم (٤/ ٢١٠٢).

الدّليل الثّاني: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [القصص: ٣٨- ٤٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيميّة: "هذا نصٌّ في أنّ فرعون بعد غرقه ملعون، وهو في الآخرة مقبوح غير منصور، وهذا إخبار عن غاية العذاب"(١).

ثمّ متى كان القرآن العظيم يصف التّائبين بكونهم من أئمّة الكفر ومن الدّعاة إلى النّار؟!

ثمّ إذا كان فرعون قد مات على الإيمان فعلًا فكيف يزيد في عقوبته وخزيه الدّنيويّ المعجّل بأن يُتبعه بلعنات لا تفارق روحه الخبيثة، تاركةً له ذكرًا قبيحًا ومقتًا كبيرًا على ألسنة الخلق كما هو مشاهَد(٢)؟!

وهل يمكن أن يقال في من سيُقابَل في الآخرة بالخزي والعار وباللّعنة والنّار بأنه من النّاجين هناك؟!

قال العلّامة البِقاعيّ (٨٨٥هـ) في تفسيره لهذه الآيات: "فيا ليت شعري! أيُّ صراحةٍ بعد هذا في أنّ فرعون عدوُّ الله في الآخرة كما كان عدوَّهُ في الدّنيا؟! فلعنةُ الله على مَن يقول: إنه مات مؤمنًا، وإنه لا صريح في القرآن بأنه من أهل النّار،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ٢٨٠).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسّعدي (٦١٧)، تفسير المراغي (٢٠/ ٦٣).

وعلى كلِّ من يشُكّ في كفره"[١].

وقال العلّامة الآلوسي: "هذه الآية أظهر دليل على عدم نجاة فرعون يوم القيامة، وأنه ملعونٌ مُبعَد عن رحمة الله تعالى في الدّنيا والآخرة"[٢].

الدّليل الثّالث: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ [يونس: ٨٨-٨٦].

وهذه الآيات صريحة في أنّ الله استجاب دعاء موسى وهارونَ بأن يزيد قلبَ فرعون وقلوب مَن معه قسوةً واستغلاقًا، وأن يختم عليها بالكفر، فلا تنشرح للحقّ ولا تَقبَل الهدى إلّا حين لا ينفعها ذلك.

وظاهرٌ من دلالة السّياق أنّ موسى وهارون لم يقصدا بـ(يؤمنوا) الإيمانَ النّافع؛ لأنهما كانا يدعوان عليهم لا لهم بعدما ضاقا ذرعًا بما يواجهانه من عتوٍّ وجُحُود، وإنما قصدا (إيمان الإكراهَ والاضطرار)، وهو الذي يلجأ إليه المتكبِّر مُرغمًا صاغرًا، ولكنه لا يجديه شيئًا؛ لأنه وقع بعد فوات الأوان، فيترك ذلك في قلبه من الحسرة والألم ما قد يفوق ما يُعاينه من العذاب، إذ مُرِّغ أنفُ كبريائه برغام الإقرار والرّضوخ لكن دونما جدوى، فخسر كبرياءَه ولم ينفعْه إيمانُه!

الدّليل الرّابع: قوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ

(١) نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّوَر للبقاعي (١٤/ ٣٠٠).
(٢) روح المعاني للآلوسي (٢٠/ ٨٤).

بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يونس: ٩٠ – ٩٢].

ودلالة هذه الآيات من وجهين:

أ- أنّ ادّعاءه الإيمان قوبل بالاستفهام الإنكاريّ، ومن المعلوم أنّ هذا الاستفهام يحمل في تضاعيفه معنى الذّمّ، ولو كان إيمانه مقبولًا وتوبتُه صادقة لما قيل له ذلك وهو في ما هو فيه من الكرب العظيم(١).

ب- أنّ الحكمة من إنجائه ببدنه -كما أخبر الله تعالى- هي أن يصبح "عبرةً وعلامةً لمن يكون بعده من الأمم لينظروا عاقبةَ مَن كفر بالله تعالى، ولهذا ذكر الله تعالى الاعتبار بِقِصّة فرعون وقومِهِ في غير موضع"(٢)، كما قال: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الزخرف: ٥٥ – ٥٦]، "ولو كان إنما مات مؤمنًا لم يكن المؤمن مما يُعتَبر بإهلاكه وإغراقه"(٣).

قال العلّامة الآلوسي: "ولهذه الآية وأشباهها وقع الإجماع على كفر المخذول وعدم قبول إيمانه"(٤).

---

(١) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (١٨/ ١٩٠)، جامع الرّسائل لابن تيميّة (٢٠٧)، روح المعاني للآلوسي (١١/ ١٨٢).
(٢) جامع الرّسائل لابن تيميّة (٢٠٨).
(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ٢٨٤).
(٤) روح المعاني للآلوسي (١١/ ١٨٤).

الدّليل الخامس: قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦].

والآية صريحة أيضًا في إثبات كفره وعدم نجاته في الآخرة، إذ إنّ الله تعالى هو الحكم العدل، فإن عاقب فعقوبته على قدر الجرم وشناعته، فلمّا أخبر بأنه قد أعدّ لفرعون ومن معه أشدّ أنواع العذاب علمنا أنّ كفرَهم هو أشدّ أنواع الكفر.

قال العلّامة ابن القيّم: "وهذا تنبيهٌ على أنّ فرعون نفسَه في الأشدّ من ذلك؛ لأنهم إنما دخلوا أشدَّ العذاب تبعًا له، فإنه هو الذي استخَّفَهم فأطاعوه، وغرَّهم فاتّبعوه، ولهذا يكون يوم القيامة أمامهم وفَرَطَهم في هذا الوِرْد قال تعالى: ﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ﴾ [هود: ٩٨]"[١]، ومن المعلوم أنه "ليس عذاب الرُّؤساء في النّار كعذاب أتباعهم"[٢].

فأين ما تدلّ عليه هذه الآية الكريمة من القول بنجاته وأنه لقي الله ظاهرًا مطهّرًا من الذّنوب؟!

الدّليل السّادس: قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ ذُو ٱلۡأَوۡتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوۡمُ لُوطٖ وَأَصۡحَٰبُ لۡـَٔيۡكَةِۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَحۡزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾ [ص: ١٢ – ١٤]، وقوله: ﴿كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَأَصۡحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٞ وَفِرۡعَوۡنُ وَإِخۡوَٰنُ لُوطٖ ﴿١٣﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ﴾ [ق: ١٢ – ١٤].

ووجه الدّلالة من هذه الآيات أنّ الله تعالى ذكر فرعون في جملة المكذِّبين

(١) طريق الهجرتين لابن القيّم (٦٠٥).
(٢) المصدر السّابق (٦٠٥).

بالرّسل، ومن المعلوم أنّ تكذيب الرُّسل كفر بالاتّفاق، ولو كان إيمانه مقبولًا لما حُشر اسمه بين هؤلاء المستحقِّين للعذاب.

الدّليل السّابع: قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠٣].

والآية تدلّ على كفر فرعون ومن معه؛ لأنّ الله تعالى وصفهم بـ(ٱلْمُفْسِدِينَ)، وقد وجدنا بالتتبُّع أنّ هذا التّعبير القرآني لا يُستعمل إلّا في حق الكافرين، ومن ذلك قوله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله في أهل مدينَ: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٨٦]، وقوله في قارون: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص: ٧٧].

الدّليل الثّامن: قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ ﴾ [المزمل: ١٥- ١٦].

ووجه الدّلالة من الآيتين الكريمتين أنّ الله تعالى حذّر فيهما كفّارَ قريش من ردّ الرّسالة السّماويّة التي بعث بها محمّدًا ﷺ، مذكّرًا إيّاهم بمصير فرعون حين جحد الحقّ واستكبر عن قبول ما جاء به موسى من الحقّ ﴿ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾ [النازعات: ٢٥]، وهذه سُنّته التي لا تتبدّل في الظّالمين المكذّبين جميعًا.

وهذا هو ما يقتضيه النّظر الصّحيح في مقصود الآيتين؛ ذلك أنه إذا كان من المسلَّم أنّ المقصود هو إنذار القوم وتحذيرهم من الاستمرار في الصّدود عن قبول دعوة النبي ﷺ مع ظهور البيّنات، لئلّا يصيبَهم من أصاب من قبلهم ممن سلك هذا الطّريق المشؤوم = فمنطق الأشياء يقضي بأن يذكِّرهم بمصير من كابَرَ في قبول الحقّ حتى نزل به العذاب الوبيل، لا بمصير مَن خُتِم له بالإيمان وبالنّجاة من النِّيران، بحسب ادِّعاء ابن عربيّ.

الدّليل التّاسع: قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ۝١٩﴾ [البروج: ١٧ – ١٩].

ووجه الدّلالة أنّ الله تعالى يُسلِّي نبيّه الكريم بتذكيره بما جرى للمكذّبين من البطش والنّكال، وقرنُه (فرعون) بـ(ثمود) التي هي أُمّة مخذولة كافرة، دليلٌ واضح على اشتراكهما في الكفر والتّكذيب.

الدّليل العاشر: عن عبد الله بن عمرو عن النّبيِّ صلي الله عليه وسلم أنه ذكرَ الصّلاةَ يومـًا فقال: «مَن حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاةً يوم القيامة، ومَن لم يحافظ عليها لم يكن له نورٌ ولا برهانٌ ولا نجاةٌ، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعونَ وهامانَ وأُبيِّ بن خلف»(١).

ووجه الدّلالة من الحديث أنّ النبيّ ﷺ قرن فرعونَ بقارون وهامان وأُبيّ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (٦٥٧٦)، وعبدُ بن حُميد في مسنده برقم (٣٥٣)، والدّارمي في سننه برقم (٢٧٢١)، وابن حبّان في صحيحه برقم (١٤٦٧)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (٢٨٢٣) وغيرهم.

والحديث قال فيه ابنُ عبد الهادي في تنقيح تحقيق أحاديث التّعليق (٢/ ١١٧): "إسنادُ هذا الحديث جيّد"، وصحّحه الألباني في تخريجه لمشكاة المصابيح برقم (٥٧٨).

بن خلف، وهؤلاء هم رؤوس الضّلال الذين عاشوا على الكفر وماتوا عليه، فدلّ على أنه مثلهم، ولو كان مؤمنًا ناجيًا لـم يكن لذكره ضمن هؤلاء معنى، بل هو مناقض لما سيق الحديث من أجله.

قال العلّامة محمد الأمين الشّنقيطي (١٣٩٣هـ): "انتفاء النّور والبرهان والنّجاة والكينونة مع فرعونَ وهامانَ وقارونَ وأبيٍّ بنِ خلف يوم القيامة أوضحُ دليل على الكفر كما ترى"(١).

الدّليل الحادي عشر: عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «خلق الله يحيى بنَ زكريّا في بطن أُمِّه مؤمنًا، وخلق فرعونَ في بطن أُمِّه كافرًا»(٢).

الدّليل الثّاني عشر: عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «قال لي جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ: لو رأيتَني وأنا آخذ من حال البحر فأدسُّه في فرعون مخافةَ أن تُدركَه الرّحمة»(٣).

ووجه الدّلالة من الحديث أنّ جبريل حين أخبر النبيَّ ﷺ بما فعل أفصح عن عِلّة قيامه بذلك، ولم يستدرك بعدها ليقول: غير أنّ الرّحمة أدركتْه، أو غير أنّ

---

(١) أضواء البيان للشّنقيطي (٣/ ٤٤٩).

(٢) أخرجه الطّبرانيُّ في معجمه الكبير برقم (١٠٥٤٣)، وجوّد إسنادَه الهيثميُّ في مجمع الزّوائد (٧/ ١٩٣)، وحسّنه الألباني في السّلسلة الصّحيحة برقم (١٨٣١) بمجموع طُرُقه.

(٣) أخرجه أبو داود الطّيالسيُّ في مسنده برقم (٢٦١٨)، وعبدُ بن حُميد في مسنده برقم (٦٦٤)، والإمام أحمد في مسنده برقم (٢٢٠٣) دون قوله: "مخافة أن تدركَه الرّحمة"، والتّرمذيُّ في سُننه -بلفظ مقارب- برقم (٣١٠٨) وغيرُهم.

والحديث قال عنه التِّرمذيُّ -: "حديث حسنٌ صحيح"، وصحّحه الألبانيُّ في السّلسلة الصّحيحة برقم (٢٠١٥).

الله قَبِل منه إيمانَه؛ مما يدلّ على حصول مراده بموت فرعون على ما عاش عليه من الكفر.

الدّليل الثّالث عشر: عن عبد الواحد بن سُلَيم قال: قدمتُ مكّةَ فلقيتُ عطاء بنَ رباح فقلتُ له: يا أبا محمّد، إنّ أهل البصرة يقولون في القدر.

قال: يا بُنيّ، أتقرأ القرآن؟

قلتُ نعم.

قال: فاقرأ الزُّخْرف.

قال: فقرأتُ: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف: ١ – ٤].

فقال: أتدري ما أُمُّ الكتاب؟

قلتُ: الله ورسولُه أعلم.

قال: فإنه كتابٌ كتَبَهُ الله قبل أن يخلق السّموات وقبل أن يخلق الأرض، وفيه: إنّ فرعونَ من أهل النّار، وفيه تبّت يدا أبي لهب وتبّ"[١].

۞ القسم الثّاني: شُبُهات القائلين بإيمان فرعون.

لم يجد القائلون بإيمان فرعون ونجاته بدًّا من التّعسُّف في الاستدلال بما هو أوهى من بيت العنكبوت، فركبوا مطيّة التّأويل في صرف النّصوص عن

(١) أخرجه التّرمذيّ في سُننه برقم (٢١٥٥)، والبيهقيُّ في القضاء والقدر برقم (٥٢٤)، والحديث صحّحه الألبانيُّ في صحيح سنن التِّرمذي.

وجوهها وإخراجها من سياقاتها والتّلاعبِ بمدلولاتها، وبطريقة عبثيّة باطنيّة لو قُبِلت لجاز إبطالُ الشّريعة وهدم ما جاءت به النبوّة، وهو بالفعل ما انتهى إليه ابن عربيّ على حدّ قوله:

لقد صار قلبي قابلًا كلَّ صورةٍ ... فمرعىً لغزلانٍ ودَيرٌ لرُهبانِ

وبيتٌ لأوثانٍ وكعبةُ طائفٍ ... وألواحُ توراةٍ ومصحفُ قرآنِ[١]

وقوله:

عَقَدَ الخلائقُ في الإله عقائدًا ... وأنا اعتقدتُ جميعَ ما عقدوهُ[٢]

وعلى كلٍّ فقد تمسّك هؤلاء بما يلي:

الدّليل الأوّل: قوله تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: ٩٠ – ٩٢].

وقد أطال ابنُ عربي في الاستدلال بهذه الآيات، فقال: "إنّ الله صدّقَه في إيمانه بقوله: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس: ٩١]، فدلّ على إخلاصه في إيمانه، ولو لم يكن مخلصًا لقال فيه تعالى كما قال في الأعراب الذين قالوا:

---

(١) ديوان ابن عربي (١٢٥٩).

(٢) الفُتُوحات المكِّية لابن عربي (٣/ ١٣٢)، الصَّفَديّة لابن تيميّة (١/ ٩٩)، تاريخ الإسلام للذّهبي (٤٦/ ٣٧٧).

تنبيه: الذي في الفُتُوحات: وأنا شهدتُ جميع ما اعتقدوهُ.

﴿ ءَامَنَّا ﴾: ﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٤]، فقد شهد الله لفرعون بالإيمان، وما كان الله ليشهد لأحدٍ بالصِّدق في توحيده إلّا ويجازيه به...

وما أشبَهَ إيمانُه إيمانَ مَن غرغر؛ فإنّ المغرغِر موقنٌ بأنه مفارقٌ قاطعٌ بذلك، وهذا الغَرِقُ هنا لم يكن كذلك؛ لأنه رأى البحر يَبَسًا في حقّ المؤمنين فعَلِمَ أنّ ذلك لهم بإيمانهم، فما أيقن بالموت بل غلب على ظنِّه الحياة، فليس منزلتُه منزلةَ مَن حضره الموت فقال: ﴿إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ ﴾ [النّساء: ١٨]، ولا هو من ﴿ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ [النِّساء: ١٨] - وأمْرُهُ إلى اللّهِ تعالى -، ولَمَا قال اللّه له ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ [يونس: ٩٢] كما كان قوم يونس"(١).

وحاصل استدلاله من وجوه:

أ- أنه ادّعى أنّ في قوله تعالى: ﴿ ءَآلْـَٔـٰنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ ﴾ [يونس: ٩١] تصديقًا لفرعون في إيمانه؛ بدليل أنّ الله لم يتعقّبْه كما فعل مع الأعراب الذي ادّعوا الإيمان!

وما ادّعاه باطل؛ إذ الاستفهام هنا استفهامُ إنكار بلا شكّ، ومثل هذا الاستفهام متضمّن لمعنى الذّم والتّقريع، فهو كافٍ بنفسه في بيان ردّ توبة فرعون؛ لكونها "ليست هي التّوبةَ المقبولةَ المأمورَ بها"(٢).

---

(١) الفُتُوحات المكِّيّة لابن عربي (٢/ ٤١٠) ببعض الحذف. وانظر كذلك: فصوص الحِكَم له أيضًا (٢١٢).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (١٨/ ١٩٠).

وهذه الآيات تُشبِه إلى حدّ كبير قول الحقّ سبحانه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يونس: ٥٠ – ٥٢]، التي تدلّ دلالةً قاطعة على عدم انتفاعهم بالإيمان المتأخّر الذي أُلجِئوا إليه، وبموجب ذلك استحقّوا العذاب الأبديّ، كما تدلّ على أنّ الاستفهام المذكور فيها استفهام إنكاريّ توبيخيّ لا غير.

ثمّ إنّ هذه الآيات كافيةٌ في إبطال قوله "فقد شهد الله لفرعون بالإيمان، وما كان الله ليشهد لأحدٍ بالصِّدق في توحيده إلّا ويجازيه به"؛ ذلك أنّ الله شهد لهؤلاء بالإيمان ولم يقبله منهم.

وإمعانًا في التّلبيس والتّضليل زاد ابن عربيّ من كيسه أنّ الله شهد لفرعون "بالصِّدق في توحيده"، فمن أين له العلمُ بشيء لم يذكر الله في كتابه والله يقول ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٥٩]؟!

ثمّ إنه لو كان إيمانُ فرعون مقبولًا – كما يدّعون- لدَفَع عنه العذاب كما دفع عن قوم يونس، فإنهم لـمّا قُبِلَ إيمانهم مُتّعوا إلى حين(١).

كما أنّ الله بيّن الحكمة من إنجاء بدنه وهو كونه عظةً وعبرةً لمن خلفه، ولو كان إنما مات مؤمنًا لم يكن المؤمنُ مما يُعتبر بإهلاكه وإغراقه(٢).

ب – أنه ادّعى أنّ إيمانَ فرعونَ ليس إيمان يائس كالمغرغر ونحوه؛ "لأنه رأى البحرَ يَبَسًا في حقّ المؤمنين فعَلِمَ أنّ ذلك لهم بإيمانهم، فما أيقن بالموت بل

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ٢٨٤) بتصرّف.

(٢) المصدر السّابق (٢/ ٢٨٤) بتصرّف.

غلب على ظنِّه الحياة"، فإيمانُه إيمان رجاء وطمع لا إيمان يأس وقنوط[١].

وابن عربي بهذا الاستدلال العبثيّ كان يسعى إلى الالتفاف على النّصوص الدّالّة على عدم قبول الإيمان حال اليأس بمعاينة أمر الآخرة حتى لا تُنَزّل على فرعون، متعاميًا عن كون ذلك من "العلم الضّروريِّ لكلّ مَن شمّ رائحة العلم من المسلمين وغيرِهم"[٢]، وهذا مأزق كبير ظلّ يلوح أمامه أينما توجّه.

ولقد ضاق ذرعًا أحمد خيري (١٣٨٧هـ) بهذه المغالطات الفجّة التي يتعلّق بها ابنُ عربيّ وأتباعُه فقال: "إن لم يكن هذا شيخُ اليائسين فماذا يكون؟!"[٣].

هذا على الرّغم من تصوّفه!

وعلى كلٍّ فالتّقرير الذي ذكره ابنُ عربيّ مناقض مناقضةً صريحة لما بيّنه القرآن من أنّ ذلك الإيمان الذي أعلنه فرعونُ كان صرخةَ يائس يحاول التّشبُّث -لأجل النّجاة- بأوهى الأسباب، حيث قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ﴾ [يونس: ٩٠]، و"في الإدراك (معنى: اللُّحُوق) و(معنى: بلوغ غاية الشّيء)"[٤]، وعلى كلا المعنيين كان فرعون موقنًا بالهلاك لا بالنّجاة.

وإذا تقرّر كون إيمانه إيمانَ يأس عند نزول البأس فنقول: إنّ النّصوص تدلّ بجلاء على عدم قبوله كما قال تعالى: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ

---

(١) انظر: لمعان الأنوار للنّابلسي (٣٩).

(٢) تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للبقاعي (١٢٨).

(٣) لمعان الأنوار للنّابلسي (٤٠) حاشية (١).

(٤) تفسير المنار لرشيد رضا (٧/ ٥٤٣). وانظر للاستزادة: جامع البيان للطبري (١١/ ١٦٢).

كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ﴿١٨﴾﴾ [النساء: ١٨]، وقال: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوۡ نَهَارٗا مَّاذَا يَسۡتَعۡجِلُ مِنۡهُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يونس: ٥٠ – ٥٢]، وقال: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر: ٨٤ – ٨٥]، وقال: ﴿كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴿٣﴾﴾ [ص: ٣]، وقال النبيُّ ﷺ: "إنّ الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر"[(١)].

ولم يستثنِ الله تعالى من هذا السَّنن الإلهيّ العامّ الذي لا يتبدّل ولا يتحوّل إلّا قوم يونس، كما قال: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٩٨﴾﴾ [يونس: ٩٨].

وإذا كانت هذه الآية التي تشبّث بها ابن عربيّ وغيره في الاستدلال على نجاة فرعون هي في الحقيقة "نصٌّ في ردّ توبة المُعاين"[(٢)]؛ عُلِمَ مدى تلاعب هؤلاء بنصوص الوحي وتنكيسهم دلالاتها رأسًا على عقب، وما دامت هذه طريقة استدلالهم فليس غريبًا ادّعاؤهم "أنه ليس في القرآن آيةٌ تدلّ على عذابه!"[(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذيُّ في سننه برقم (٣٥٣٧)، وأحمد في مسنده برقم (٦١٦٠)، وأبو يعلى في مسنده برقم (٥٧١٧)، وابن حِبّان في صحيحه برقم (٦٢٨) وغيرهم من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
والحديث قال فيه الترمذيّ: "حسنٌ غريب"، وحسّنه الألباني في صحيح سنن الترمذيّ، وشعيب الأرنؤوط في تخريجه لأحاديث المسند.
وانظر للاستزادة: شرح الصّدور بشرح حال الموتى والقبور للسُّيُوطي (٩٥).

(٢) المحرّر الوجيز لابن عطيّة (٣/ ١٤١).

(٣) جامع الرّسائل لابن تيميّة (٢١٣).

الدّليل الثّاني: قوله تعالى ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود: ٩٨]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: ٤٦].

ووجه الدّلالة في الآية الأولى أنّ الله ذكر أنّ فرعون يُورِد قومَه ولم يذكر أنه يَرِدُها معهم، وفي الآية الثّانية لم يَنُصَّ على أنه يدخلها معهم فدلّ على صحّة إيمانه ونجاته في الآخرة[١].

وقد بيّن شيخُ الإسلام ابن تيميّة أنّ "هذا تحريفٌ للكلم عن مواضعه، بل فرعون داخل في (آل فرعون) بلا نزاعٍ بين أهل العلم والقرآن واللُّغة"[٢].

ثمّ استطرد فأتى -كعادته- بما لا مزيد عليه حيث قال: "هذا من أعظم جهلهم وضلالهم، فإنه حيث ذُكِرَ في الكتاب والسُّنّة (آل فلان) كان فلانٌ داخلًا فيهم، كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: ٣٣]، وقولِه: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَـٰهُم بِسَحَرٍ﴾ [القمر: ٣٤]، وقولِه: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الصافات: ١٣٠]، وقولِ النّبيِّ ﷺ: "اللّهم صلِّ على آل أبي أوفى"[٣]، وقولِه: "لقد أُوتيَ هذا مزمارًا من مزامير آل داود"[٤].

ومنه قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٤٩]، ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ [آل عمران: ١١]، ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ

---

(١) انظر: الفُتُوحات المكّيّة لابن عربي (٢/ ٢٧٧).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ٢٨١).

(٣) أخرجه البخاريّ في صحيحه برقم (١٤٢٦)، ومسلم في صحيحه برقم (١٠٧٨)، من حديث عبد الله بن أبي أوفى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) أخرجه البخاريّ في صحيحه برقم (٤٧٦١)، ومسلم في صحيحه برقم (٧٩٣)، من حديث أبي موسى الأشعريّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَـٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [القمر: ٤١ - ٤٢].

وقولُه ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦] متناولٌ له ولهم باتّفاق المسلمين، وبالعلم الضّروريِّ من دين المسلمين.

وهذا بعد قوله تعالى حكايةً عن مؤمن من آل فرعون كان يكتم إيمانَه: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨]، والذي طلب قتْلَه هو فرعون، فقال المؤمن بعد ذلك: ﴿مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ﴾ [غافر: ٤١ – ٤٢]، والدّاعي إلى الكفر هو كافر كفرًا مغلّظًا، فهذا فيه.

ووصَفَهُم أيضًا بالكفر إلى قوله: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [غافر: ٤٥ – ٤٦]، فأخبر أنه حاق بآل فرعون سوء العذاب، ويوم تقوم السّاعة أدخلوا آل فرعون أشدَّ العذاب.

ثم قال: ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [غافر: ٤٧ – ٤٨] ومعلومٌ أنّ فرعون هو أعظم الذين استكبروا ثمّ هامان وقارون، وأنّ قومهم كانوا لهم تبعًا، وفرعون هو متبوعهم الأعظم الذي قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، وقال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ

﴿ ٤١ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ٤٢ ﴾ [القصص: ٣٩ – ٤٢].

وهذا تصريح بأنه نبذه وقومه في اليمِّ عقوبةَ الذي هو كفر، وأنه أتبعه وقومه في الدّنيا لعنةً، ويوم القيامة هم من المقبوحين هو وقومُه جميعًا.

وهذا موافقٌ لقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ٩٦ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ٩٧ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ٩٨ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ٩٩ ﴾ [هود: ٩٦ – ٩٩]، فأخبر سبحانه أنهم اتّبعوا أمرَه، وأنه يَقْدُمُهم؛ أي: يتقدّمهم إلى النار؛ لأنه إمامهم، لا مجرد سائق لهم، وأنه يوردهم النّار، فإذا كان التّابع قد ورد النّارَ فإن من كان في مقدّمته –وهو متبوعُه– يكون قد ورَدَ قبله، ولهذا قال بعد ذلك ﴿ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ٤٢ ﴾ [القصص: ٤٢]، والتّابع والمتبوع كما قال الله تعالى في تلك السُّورة عن فرعونَ وقومه: ﴿ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ٩٩ ﴾ [هود: ٩٩]"(١).

فاتّضح من خلال ما سبق أنّ هذه "الآية التي ظنّوا أنها حُجّة لهم هي حُجّة عليهم"(٢) في الحقيقة.

---

(١) جامع الرّسائل لابن تيميّة (٢١٣). وانظر للاستزادة في دخول الرّجل في مفهوم آله: شرح مشكل الآثار للطّحاوي (٦/ ١٦)، جلاء الأفهام لابن القيّم (٢٠٤)، شرح العقيدة الطّحاويّة لابن أبي العزّ (٣٣١)، المتواري على أبواب البخاري لابن الـمُنَيِّر (٣٢٤)، المعتصر من المختصر للمَلَطِي (١/ ٥٥).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ٢٨١).

الدّليل الثّالث: أنّ "رحمة الله أوسع من حيث أن لا يَقبَل إيمانَ المضطرّ، وأيُّ اضطرارٍ أعظم من اضطرار فرعون في حال الغَرَق، والله يقول: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾ [النّمل: ٦٢]؟!"[(١)].

والجواب عن هذا من وجهين:

أ- أنّ هذا القول من ابن عربيّ من القول على الله بلا علم، بل هو من الافتيات عليه، فالرّحمة لله تعالى لا إليه، والله يقول: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ [الزخرف: ٣٢].

ثمّ إنّ الذي أخبرنا في كتابه الكريم بأنّ رحمته وسعت كلَّ شيء هو من أخبرنا فيه أيضًا -وفي مواضع متعدِّدة- أنه لا يقبل الإيمان عند نزول البأس والمعاينة، فهل ابن عربيّ أعلم بالله من الله؟! ﴿ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ﴾[البقرة: ١٤٠]؟

ب- أنّ الآية الكريمة لا علاقة لها بموضع البحث؛ إذ هي تتحدّث عن الدّعاء لا عن الإيمان، وقد بيّنت النّصوص أنّ الأوّل مقبولٌ مستجاب حال الاضطرار دون الثّاني، كما في قوله: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقوله: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٧]، وقوله: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ [لقمان: ٣٢]، فعُلِم بذلك أنّ الاستدلال على الثّاني بما ورد في الأوّل خلطٌ وتلبيس.

جـ - أنّ في الآية نفسها ما يشهد ببطلان استدلال ابن عربي، ذلك أنها نصّت

(١) انظر: الفُتُوحات المكِّيّة لابن عربي (٢/ ٢٧٧) باختصار.

على أنّ الله يجازي المضطرّ بـ(إجابة دعائه) و(وكشفِ السّوء عنه)، غير أننا إذا عُدنا إلى ما جرى لفرعون وجدنا أنّ الله تعالى لم يكشف عنه السّوء بل أماته غرقًا، فكيف يصحّ الاستدلال بأحد شِقّي الآية دون الآخر.

وقد تنبّه ابنُ عربيّ إلى هذه الإشكاليّة العميقة التي تنسف استدلاله بالآية فلم يجد مناصًا من اللّجوء إلى خيالات وأوهام لا وجود لها إلّا في عقله، فقال: "قَرَنَ للمضطرّ إذا دعاه (الإجابةَ) و(كشفَ السُّوء عنه)، وهذا آمنَ لله خالصًا، وما دعاه في البقاء في الحياة الدّنيا خوفًا من العوارض أو يحال بينه وبين هذا الإخلاص الذي جاءه في هذه الحال، فرجَّحَ جانبَ لقاء اللّه على البقاء!"[١].

الدّليل الرّابع: أنّ كلّ ما ورد فيه لفظ (فرعون) من الأحاديث والآثار الدّالّة على كفره فالمقصود به أبو جهل، ومن ذلك حديث: «خَلَق الله يحيى بنَ زكريّا في بطن أُمِّه مؤمنًا، وخَلَقَ فرعونَ في بطن أُمِّه كافرًا»، وقول عطاءَ عن أمّ الكتاب: «إنه كتابٌ كتَبَهُ الله قبل أن يخلق السّموات وقبل أن يخلق الأرض، وفيه: إنّ فرعونَ من أهل النّار، وفيه تبّت يدا أبي لهب وتبّ»[٢].

والجواب عن هذا من وجوه:

أ- أنّ الأظهر أنه لا يصحّ شيء من الأحاديث التي ورد فيها تسمية أبي جهل (بفرعون)، بل كلُّها معلولة، وعليه فإنّ حمل لفظ (فرعون) على أبي جهل ليس له ما يعضده أساسًا.

ب- أنه لو سُلِّم بصحّة بعض ما روي في هذا الباب فإنّ حمل لفظ (فرعون)

---

(١) الفُتُوحات المكِّيّة لابن عربي (٢/ ٢٧٧).

(٢) لمعان الأنوار للنّابلسي (٣٩)، وقد سبق تخريج الحديث والأثر.

على غير صاحبه خلافُ الأصل، ومن المعلوم أنه لا يجوز الخروج عن الأصل إلّا مع قرينة دالّة على أنّ المقصود سواه، كحديث «هذا فرعونُ هذه الأُمّة»[١] فقد حملناه على أبي جهل لوجود عِدّة قرائن، منها تقييدُه بهذه الأُمّة.

جـ أنّ النّبيّ ﷺ وإن شبَّه أبا جهل الذي هو "رأسُ الكفّار المكذِّبين له برأس الكفّار المكذِّبين لموسى"[٢] إلّا أنّ من المقطوع به أنه كان أخفّ كفرًا منه وأقلّ طغيانًا، فكيف تُصرَف الإطلاقات عن المشبَّه به إلى المشبَّه دون قرينة؟!

المبحث الثالث

حكم القول بإيمان فرعون

لا ريب في أنّ هذا القول في ذاته قولٌ كفريّ؛ لتكذيبه صريحَ الكتاب والسُّنّة، وفي القرآن وحده ما يدلّ على موت فرعون على الكفر في اثنتين وعشرين سورة[٣]، كما أنه معارض للإجماع الثّابت الذي حكاه غيرُ واحد، وإن حاول بعضُهم التّشكيك فيه[٤]، ثمّ هو مناقضٌ لما عُلِم من الدّين بالضّرورة[٥].

---

(١) أخرجه النّسائي في سننه الكبرى برقم (٦٠٠٤)، وابن أبي شيبة في مصنّفه برقم (٣٦٦٩٧)، وأحمد في مسنده برقم (٣٨٢٤)، وأبو داود الطّيالسيّ في مسنده برقم (٣٢٨)، والبزّار في مسنده برقم (١٨٦١) وغيرهم من حديث عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. والحديث قال فيه ابن حزم في المحلّى (٩/ ٣٨٩): "إسناده متكلّم فيه".

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة (٢/ ٢٨٤).

(٣) انظر: فاضحة الملحدين وناصحة الموحِّدين للعلاء البخاري (١٦٨).

(٤) انظر: جامع الرّسائل لابن تيميّة (٢٠٣)، الزّواجر عن اقتراف الكبائر للهيتمي (١/ ٥٦-٥٨)، روح المعاني للآلوسي (١١/ ١٨٧)، ردّ المحتار على الدُّرّ المختار لابن عابدين (٤/ ٢٣١)، حاشية إعانة الطّالبين على حلّ ألفاظ فتح المعين للبكري الدّمياطي (٤/ ١٣٥) وغيرها.

(٥) انظر: جامع الرّسائل لابن تيميّة (٢٠٣).

ولـمّا كان أهل السُّنة والجماعة يجوّزون الانفكاك بين جهتي (العمل) و(العامل)، ويرون أنّ "التّكفير المطلق مثلُ الوعيد المطلق، لا يستلزم تكفيرَ الشّخص المعيّن حتى تقوم عليه الحُجّة التي تُكفِّر تاركَها"[١]؛ كان تنزيلُ الحكم على صاحبه مشروطًا عندهم بثبوت شروط التّكفير وانتفاء موانعه.

ولعلّ التّأويل -باعتباره مانعًا- هو أهمّ ما ينبغي تحقيقُ القول فيه في هذا المقام؛ لأنه من المعلوم أنّ القائلين بـ(إيمان فرعون) ممّن ذكرناهم لم يكونوا مكرَهين على القول به ولا جهلاء بأدلّة المسألة ونحو ذلك، وإنما اعتقدوا شيئًا ثمّ ركبوا ظهر التّأويل في تدعيم اعتقادهم.

وأهل السُّنّة وإن اتّفقوا على أنّ المتأوّل معذورٌ بتأويله[٢]، فليس مرادُهم (كلَّ تأويل)؛ لعلمهم أنّ ذلك سيكون معولًا لهدم الشّرائع ومفتاحًا لاستحلال المحرّمات وبابًا لتبديل الحقائق، وإنما أرادوا (التّأويل السّائغ) الذي يحتمله لسانُ العرب وله وجهٌ في العلم[٣].

وعليه فالسّؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: هل يُعَدّ القول بـ(إيمان فرعون ونجاته في الآخرة) من التّأويل السّائغ الذي يمنع من تكفير القائل به أم لا؟

والجواب عن ذلك أن يقال:

اختلف العلماء عمومًا في هذه الجزئيّة على قولين:

القول الأوّل: أنه لا يكفر؛ لأنّ تأويله -وإن كان فاسدًا- إلّا أنه غير قطعيّ

---

(١) انظر: الاستقامة لابن تيميّة (١/ ١٦٤).

(٢) انظر: الإيمان، حقيقته، خوارمه، ونواقضه لعبد الله الأثري (٢٧٠).

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر (١٢/ ٣٠٤).

البطلان لتمسُّكه بظاهر قوله تعالى ﴿قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠][١]، بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك مهوِّنًا من شأن المخالف في هذه المسألة فقال: "غايتُه أنه خطأ في الاجتهاد، وهو غير قادح في صاحبه!"[٢].

القول الثّاني: أنه يكفر؛ لمناقضته النّصَّ والإجماعَ والمعلومَ من الدِّين بالضّرورة، ومن استعرض التّأويلات التي اتّكأ عليه القائلون بـ(إيمان فرعون) في التّعامل مع النّصوص المحكمة الجليّة وجدها في غاية التّمحُّل والتّحريف، بل قطع بأنها من جنس تأويلات الباطنيّة التي تُفرَّغ بها النّصوص من دلالاتها بصورة كلِّيّة بحيث يصبح الظّاهر لا قيمة له.

وهذا هو الأقوى.

قال شيخُ الإسلام ابن تيميّة: "كفرُ فرعون وموتُه كافرًا وكونُه من أهل النّار هو ممّا عُلِمَ بالاضطرار من دين المسلمين، بل ومن دين اليهود والنصارى، فإنّ أهل الملل الثّلاثة متّفقون على أنه من أعظم الخلق كفرًا، ولهذا لم يَذكُر الله تعالى في القرآن قِصّة كافر كما ذكر قِصّتَه في بسطها وتثنيتها، ولا ذَكَر عن كافر من الكفر أعظمَ مما ذكر من كفره واجترائه وكونِه أشدّ النّاس عذابًا يوم القيامة.

ولهذا كان المسلمون متّفقين على أنّ مَن توقّف في كفره وكونِه من أهل النّار فإنه يجب أن يُستتاب، فإن تاب وإلّا قُتِل كافرًا مرتدًّا، فضلًا عمن يقول إنه

---

(١) انظر: إعانة الطّالبين للبكري الدّمياطي (٤/ ١٣٥)، بريقة محمودية في شرح طريقة محمّدية للخادمي (٢/ ٢٢٨).

(٢) انظر: الفتاوى الحديثيّة للهيتمي (٢٤١).

مات مؤمنًا.

والشّكُّ في كفره أو نفيُه أعظمُ منه في كفر أبي لهب ونحوه، وأعظمُ من ذلك في أبي جهل وعقبة بن أبي معيط والنَّضْر بن الحارث ونحوهم ممن تواتر كفرُهم ولم يُذكر باسمه في القرآن، وإنما ذُكر ما ذُكِر من أعمالهم، ولهذا لم يظهر عن أحد بالتّصريح بأنه مات مؤمنًا إلّا عمّن فيه من النِّفاق والزّندقة أو التّقليد للزّنادقة والمنافقين ما هو أعظم من ذلك كالاتّحاديّة"[1].



(١) جامع الرّسائل لابن تيميّة (٢٠٣).

الخاتمة

وتتضمّن أهمّ النتائج

وبعد أنّ منّ الله تعالى بالانتهاء من هذه الدّراسة فهذا عرض لأبرز النّتائج:

١- أنّ القول بـ(بصحّة إيمان فرعون ونجاته في الآخرة) قول باطل بصريح الكتاب والسُّنة، وبالإجماع، وبالمعلوم من الدِّين بالضّرورة.

٢- أنّ أقدم من أشار إلى وجود هذا القول -فيما تمكّنا من الوقوف عليه- هو الحارث المحاسبي، وهو من أهل القرن الثّالث، ولم يعيِّن القائلين به.

٣- أنّ هذا القول -بالنّظر إلى شدّة وهن دليله- ظلّ محشورًا في زوايا الإهمال عدّة قرون حتى جاء ابنُ عربي فتبنّاه وانتصر له.

٤- أنّ العامل الأساس في قبوله بعد خموله وحياته بعد موته لم ينشأ عن قوّة أدّلته وصحّة براهينه، وإنما وجود الأرضيّة الخصبة لتقبُّله بانتشار التّصوُّف ثمّ تلك الطّبيعة الآسرة لشخصيّة ابن عربيّ وكتاباته.

٥- أنّ الصّحيح هو ثبوت القول بـ(إيمان فرعون) عن ابن عربيّ.

٦- أنّ هذا القول فرعٌ عن نظريّة وحدة الوجود التي آمن بها ابن عربيّ ونذر حياته لتوطيد أركانها.

٧- أنه على الرّغم من الجهود المبذولة على أيدي العلماء في إبطال هذا القول، إلّا أنه ما زال يتنفّس في صدور بعض المعاصرين من المتصوّفة، وقد مرّ ذكر بعضٍ منهم في أثناء هذا البحث.

٨- أنّ القائلين بـ(إيمان فرعون) لـم يجدوا بُدًّا في سبيل الانتصار لقولهم

من ركوب متن التّأويلات الباطنيّة.

٩- أنّ الادّعاء بكون أبي بكر الباقلاني من القائلين بـ(إيمان فرعون) مما لا يثبت، والمتّهم بنسبة ذلك إليه -والعلم عند الله- هو عبد الوهّاب الشَّعراني.

١٠- أنه ليس كلّ الصوفيّة قائلين بهذا القول ومتبنِّين له.

١١- أنّ هذا القول قول كفريّ بذاته؛ لتكذيبه صريح الكتاب والسُّنّة، ومعارضته للإجماع، ومناقضته للمعلوم من الدِّين بالضّرورة.

١٢- أنّ الرّاجح أنّ التّأويل في هذه المسألة هو تأويل غير سائغ لا يُعذر به صاحبه.



المصادر والمراجع

١- **إتحاف السّادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدِّين**، الزَّبيدي، محمد بن محمد بن محمد، د.ط، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٢- **الآثار المرفوعة في الأخبار الموضوعة**، اللكنوي، محمد عبد الحي بن عبد الحليم بن أمين الله. تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، د.ط، بغداد، مكتبة الشرق الجديد، ١٩٨٩م.

٣- **الاستقامة**، ابن تيميّة، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام. تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط١، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٣ه.

٤- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، الشّنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر. تحقيق: مكتب البحوث والدّراسات، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٥- **إغاثة اللّهفان من مصائد الشيطان**، ابن القيّم، محمد بن أبي بكر بن أيوب. تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ١٣٩٥ه- ١٩٧٥م.

٦- **الأمالي في لغة العرب**، القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون. د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

٧- **الانتصار للقرآن**، البلاقلاني، محمد بن الطيب بن محمد. تحقيق: د. محمد عصام القضاة، ط١، عمّان- بيروت، دار الفتح- دار ابن حزم، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٨- **الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**، البلاقلاني، محمد بن الطيب بن محمد. تحقيق وتعليق: محمد زاهد الكوثري، ط٢، القاهرة، المكتبة

الأزهريّة للتراث، ١٤٢١ه- ٢٠٠٠م.

٩- **إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود**، النّابلسي، عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني. د.ط، دمشق، مطبعة العلم، ١٣٨٩ه- ١٩٦٩م.

١٠- **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير. عناية وتصحيح: محمد شرف الدين ورفعت بيلكه الكليسي، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

١١- **الإيمان: حقيقته، خوارمه، نواقضه**، الأثري، عبد الله بن عبد الحميد. ط١، الرّياض، مدار الوطن، ١٤٢٤ه- ٢٠٠٣م.

١٢- **البحر الزخار**، البزّار، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق. تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله، ط١، بيروت - المدينة، مؤسسة علوم القرآن- مكتبة العلوم والحكم، ١٤٠٩ه.

١٣- **البحر العميق في مرويّات ابن الصِّدِّيق**، الغُماري، أحمد بن محمد بن الصّدِّيق. د.ط، القاهرة، دار الكتبي، د.ت.

١٤- **بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية**، الخادمي، محمد بن محمد بن مصطفى. د.ط، مصر، مطبعة الحلبي، ١٣٤٨هـ.

١٥- **التاج المكلَّل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأوّل**، القَنُّوجي، محمد صدِّيق خان بن حسن بن علي. ط١، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

١٦- **تاريخ ابن الوردي**، ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر. ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

١٧- **تاريخ الإسلام ووَفَيَات المشاهير والأعلام**، الذّهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. تحقيق: د. عمر عبد السّلام تدمري، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٨- **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل**، ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله. تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٥م.

١٩- **التّحبير في علم التّفسير**، السُّيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد. تحقيق: د.فتحي عبد القادر فريد، ط١، د.م، دار العلوم، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٢٠- **تحفة المحتاج في شرح المنهاج [وبهامشه حواشي الشّرواني والعبادي]**، الهيتمي، أحمد بن محمد بن بن حجر. د.ط، مصر، المكتبة التّجارية الكبرى، ١٣٥٧هـ - ١٩٨٣م.

٢١- **تراثنا الفكري في ميزان الشّرع والعقل**، السّقّا، محمد الغزالي بن أحمد. ط٥، مصر، دار الشّروق، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٢٢- **تفسير المراغي**، المراغي، أحمد بن مصطفى بن محمد. ط١، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م.

٢٣- **تفسير القرآن الحكيم المعروف بـ(تفسير المنار)**، الحسيني، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد. د.ط، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

٢٤- **مصرع التّصوُّف (تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي)**، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن. تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، د.ط، مكة المكرمة، عباس أحمد

الباز، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٢٥- **تنقيح تحقيق أحاديث التّعليق**، المقدسي، محمد بن أحمد بن عبد الهادي. تحقيق: أيمن صالح شعبان، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

٢٦- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تأليف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي. تحقيق: د. عبد الرّحمن بن معلّا اللويحق، د.ط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٢٧- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد. د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٥ه.

٢٨- **جامع الرّسائل**، ابن تيميّة، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام. تحقيق: محمد رشاد سالم، ط١، الرياض، دار العطاء، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٢٩- **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام**، ابن القيّم، محمد بن أبي بكر بن أيوب. تحقيق: شعيب الأرناؤوط وعبد القادر الأرناؤوط، ط٢، الكويت، دار العروبة، ١٤٠٧ه - ١٩٨٧م.

٣٠- **جلاء العينَين في محاكمة الأحمدَين**، الآلوسي، نعمان بن محمود بن عبد الله. تقديم: علي السيد صبح المدني، د.ط، مصر، مطبعة المدني، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٣١- **جمهرة الأمثال**، العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل. د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٢- **الجواب المفيد للسّائل المستفيد**، الغُماري، أحمد بن محمد بن الصِّدِّيق. جمع وتخريج وتحقيق: بدر العمراني، ط١، بيروت، دار الكتب

العلميّة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٣٣- **جواهر النّصوص في حلّ كلمات الفُصوص**، الجامي، عبد الرّحمن بن أحمد بن محمد. ط١، مصر، المطبعة العامريّة الشّرعيّة، ١٣٢٣ه.

٣٤- **حاشية إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين لشرح قرة العين بمهمات الدين**، الدّمياطي، أبو بكر بن محمد شطا. د.ط، بيروت، دار الفكر، د.ت.

٣٥- **حاشية الشّهاب على تفسير البيضاوي**، الخفاجي، أحمد بن محمد بن عمر. د.ط، بيروت، دار صادر، د.ت.

١. **حاشية ردّ المختار على الدُّرّ المختار شرح تنوير الأبصار المعروفة بـ(حاشية ابن عابدين)**، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز. د.ط، بيروت، دار الفكر، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣٦- **درء تعارض العقل والنقل**، ابن تيميّة، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام. تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، د.ط، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٣٧- **ديوان محيي الدِّين ابن عربي**، ابن عربي، محمد بن علي بن محمد. د.ط، د.م، د.ن، د.ت.

٣٨- **الرد على القائلين بوحدة الوجود**، القاري، علي بن سلطان محمد. تحقيق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، ط١، دمشق، دار المأمون للتراث، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣٩- **الرّدُّ على المنطقيّين**، ابن تيميّة، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام.

د.ط، بيروت، دار المعرفة، د.ت.

٤٠- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، الآلوسي، محمود بن عبد الله بن محمود. د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

٤١- **الزّواجر عن اقتراف الكبائر**، الهيتمي، أحمد بن محمد بن حجر. ط١، بيروت، دار الفكر، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٤٢- **سلسلة الأحاديث الصّحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، الألباني، محمد بن نوح بن نجاتي. ط١، الرياض، مكتبة المعارف، د.ت.

٤٣- **سلك الدُّرَر في أعيان القرن الثّاني عشر**، المرادي، محمد خليل بن علي بن محمد، ط٣، بيروت، دار البشائر الإسلامية - دار ابن حزم، ٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٤٤- **الجامع الصّحيح المعروف بـ(سنن الترمذي)**، الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، د.ط، بيروت، دار إحياء التّراث العربي، د.ت.

٤٥- **سنن الدارمي**، الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل. تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السّبع العلمي، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٤٦- **السنن الكبرى**، النسائي، أحمد بن شعيب بن علي. تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري وسيد كسروي حسن، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٤٧- **سير أعلام النُّبلاء**، الذّهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. تحقيق: شعيب

الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ط٩، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ.

٤٨- **السّيل الجرّار المتدفّق على حدائق الأزهار**، الشّوكاني، محمد بن علي بن محمد. تحقيق: محمود إبراهيم زايد، ط١، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٠٥هـ.

٤٩- **شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور**، السُّيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد. تحقيق: عبد المجيد طعمة حلبي، ط١، بيروت، دار المعرفة، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

٥٠- **شرح العقيدة الطّحاويّة**، ابن أبي العزّ، علي بن علاء الدِّين الصالحي، ط٤، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٣٩١هـ.

٥١- **شرح العقيدة الطّحاويّة**، آل الشّيخ، صالح بن عبد العزيز بن محمد. تخريج: سليمان القاطوني، ط١، المنصورة، دار المودّة، ١٤٣١هـ- ٢٠١١م.

٥٢- **شرح فصوص الحِكَم**، الغراب، محمود محمد. د.ط، المؤلف، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٥٣- **شرح مشكل الآثار**، الطحاوي، أحمد بن محمد بن سلامة. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

٥٤- **شُعَب الإيمان**، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي. تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، ط١، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٠هـ.

٥٥- **صحيح ابن حبّان بترتيب ابن بلبان**، البستي، محمد بن حبان بن أحمد. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

٥٦- **المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ المعروف بـ(صحيح مسلم)**، القشيري، مسلم بن الحجّاج بن مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت.

٥٧- **كتاب الفناء في المشاهدة** [مطبوع ضمن رسائل ابن عربي]، ابن عربي، محمد بن علي بن محمد. وضع حواشيه: محمد عبد الكريم النمري، ط١، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٥٨- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، السّخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد. د.ط، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، د.ت.

٥٩- **طريق الهجرتين وباب السّعادتين**، ابن القيّم، محمد بن أبي بكر بن أيوب. تحقيق: عمر بن محمود، ط٢، الدمام، دار ابن القيّم، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٦٠- **العقد الثّمين في تاريخ البلد الأمين**، الفاسي المكّي، محمد بن أحمد بن علي. تحقيق: محمد حامد الفقي وفؤاد سيد ومحمود الطناحي، د.ط، بيروت، مؤسسة الرّسالة، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

٦١- **عقيدة الصُّوفيّة وحدة الوجود الخفيّة**، تأليف: أحمد بن عبد العزيز القصيّر. ط١، الرياض، مكتبة الرُّشد، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

٦٢- **فاضحة الملحدين وناصحة الموحّدين**، البخاري، محمد بن محمد بن محمد. تحقيق: محمد بن إبراهيم العوضي، ماجستير، السعوديّة: كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أمّ القرى، ١٤١٤هـ.

٦٣- **الفتاوى الحديثيّة**، الهيتمي، أحمد بن محمد بن حجر. د.ط، بيروت، دار الفكر، د.ت.

٦٤- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. تحقيق: محب الدين الخطيب، د.ط، بيروت، دار المعرفة، د.ت.

٦٥- **الفتوحات المكّيّة في معرفه أسرار المالكية والملكية**، ابن عربي، محمد بن علي بن محمد. د.ط، القاهرة، دار الكتب العربية الكبرى، د.ت.

٦٦- **فصوص الحِكَم**، ابن عربي، محمد بن علي بن محمد. تعليق: أبو العلا عفيفي، د.ط، بيروت، دار الكتاب العربي، د.ت.

٦٧- **الفكر الصُّوفي في ضوء الكتاب والسُّنة**، اليوسف، عبد الرحمن بن عبد الخالق. ط٣، الكويت، مكتبة ابن تيمية، د.ت.

٦٨- **فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظّاهريّة**، الخيمي، صلاح محمد. د.ط، دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٦٩- **فهم القرآن**، المحاسبي، الحارث بن أسد بن عبد الله. تحقيق: حسين القوتلي، ط٢، بيروت، دار الكندي - دار الفكر، ١٣٩٨هـ.

٧٠- **فيض الباري على صحيح البخاري**، الكشميري، محمد أنور شاه بن معظم شاه. تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٧١- **الفيوضات الرّبّانيّة في المآثر وورِد القادريّة**، ؟. مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، د.ت.

٧٢- **القضاء والقدر**، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي. تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر، ط١، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٧٣- **الكبريت الأحمر في بيان علوم الشّيخ الأكبر** [مطبوع بأسفل كتاب: اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر]، الشّعراني، عبد الوهّاب بن أحمد بن علي. د.ط، بيروت، دار إحياء التّراث العربي - مؤسسة التّاريخ العربي، د.ت.

٧٤- **كتاب الصّفديّة**، ابن تيميّة، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام. تحقيق: محمد رشاد سالم، د.ط، الرياض، دار الفضيلة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٧٥- **كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون**، القسطنطيني، مصطفى بن عبدالله المعروف بـ(حاجي خليفة). د.ط، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٣ه - ١٩٩٢م.

٧٦- **كشف الغطاء عن حقائق التّوحيد وعقائد الموحّدين وذِكْرُ الأئمّة الأشعريّين ومَن خالفهم من المبتدعين**، الأهدل، الحسين بن عبد الرّحمن بن محمد. د.ط، د.م، د.ن، د.ت.

٧٧- **لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق المعروف بـ(المنن الكبرى)**، الشّعراني، عبد الوهّاب بن أحمد بن علي، عناية: أحمد عزّو عناية، ط١، دمشق، دار التّقوى، ١٤٢٥ه -٢٠٠٤م.

٧٨- **لمعان الأنوار في المقطوع لهم بالجنة والمقطوع لهم بالنار**، النّابلسي، عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني. تحقيق: أحمد خيري، ط١، د.م، د.ن، ١٣٧٢ه.

٧٩- **المتواري على تراجم أبواب البخاري**، ابن المنيِّر، أحمد بن محمد بن منصور. تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد، الكويت، مكتبة المعلا، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٨٠- **مجمع الزّوائد ومنبع الفوائد**، الهيثمي، علي بن أبي بكر بن سليمان. د.ط، القاهرة - بيروت، دار الريان للتراث - دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ه.

٨١- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة**، ابن تيميّة، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السّلام. تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط٢، د.م، مكتبة ابن تيميّة، د.ت.

٨٢- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطيّة، عبد الحق بن غالب بن عبد الرّحمن. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

٨٣- **مدارج السّالكين بين منازل إيّاك نعبد وإيّاك نستعين**، ابن القيّم، محمد بن أبي بكر أيوب. تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٣ه- ١٩٧٣م.

٨٤- **مسند أبي داود الطّيالسي**، الطّيالسي، سليمان بن داود، د.ط، بيروت، دار المعرفة، د.ت.

٨٥- **مسند أبي يعلى**، الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى. تحقيق: حسين سليم أسد، ط١، دمشق، دار المأمون للتراث، ١٤٠٤ه- ١٩٨٤م.

٨٦- **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، الشّيباني، أحمد بن محمد بن حنبل. د.ط، مصر، مؤسسة قرطبة، د.ت.

٨٧- **مشكاة المصابيح**، التّبريزي، محمد بن عبد الله، تحقيق: محمد بن ناصر الدِّين الألباني، ط٣، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٥م.

٨٨- **مطلع خصوص الكلم في معاني فُصوص الحِكَم**، القيصري، داود بن

محمود بن محمد. د.ط، د.م، ميرزا محمد شيرازي المشهور بملك الكُتّاب، د.ت.

٨٩- **المعتصر من المختصر من مشكل الآثار**، المَلَطِي، يوسف بن موسى بن محمد. د.ط، بيروت - القاهرة - دمشق، عالم الكتب - مكتبة المتنبي - مكتبة سعد الدين، د.ت.

٩٠- **المعجم الكبير**، الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السّلفي، ط٢، الموصل، مكتبة الزّهراء، ١٤٠٤ه - ١٩٨٣م.

٩١- **المنتخب من مسند عبد بن حميد**، الكَسي، عبدُ بن حميد بن نصر. تحقيق: صبحي البدري السامرائي ومحمود محمد خليل الصعيدي، ط١، القاهرة، مكتبة السُّنّة، ١٤٠٨ه - ١٩٨٨م.

٩٢- **موسوعة أهل السُّنّة**، دمشقيّة، عبد الرّحمن بن محمد بن سعيد. ط١، الرياض، دار المسلم، ١٤١٨ه - ١٩٩٧م.

٩٣- **مؤلّفات ابن عربي: تاريخها وتصنيفها**، يحيى، عثمان. ترجمة وتحقيق وتقديم: د. أحمد محمد الطيب، د.ط، القاهرة، الهيئة المصريّة العامّة، د.ت.

٩٤- **ميزان الاعتدال في نقد الرِّجال**، الذّهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. تحقيق: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط١، بيروت، دار الكتب العلميّة، ١٩٩٥م.

٩٥- **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنّواظر**، الطالبي، عبد الحي بن فخر الديّن بن عبد العلي. ط١، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٩٦- **نعمة الذّريعة في نصرة الشّريعة**، الحلبي، إبراهيم بن محمد بن إبراهيم.

تحقيق: علي رضا بن عبد الله بن علي رضا، ط١، الرياض، دار المسير، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٩٧- **نفخ الطِّيب من غُصن الأندلس الرّطيب**، المقَّري، أحمد بن محمد بن أحمد. تحقيق: د. إحسان عباس، د.ط، بيروت، دار صادر، ١٣٨٨هـ.

٩٨- **هديّة العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنّفين**، البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم. د.ط، استانبول، وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهيّة، ١٩٥١م.

٩٩- **اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر**، الشّعراني، عبد الوهّاب بن أحمد بن علي. د.ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي - مؤسسة التّاريخ العربي، د.ت.



فهرس الموضوعات



